

يَمَامُ

شهرزاد



الطبعة الأولى

يمَام
ونصوص أخرى

شهـــرزاد

٢٠١٧



الإهداء

إلى أمل بنت عبدالله

صديقة عمري

التي تنام أسراري في قلبها مطمئنة

طفلة الطريق تلك كان اسمها (يَمَام)

وهنا . . . . يَمَام

ونصوص أخرى

يمَام

(بعض الأحاسيس كأنّ لها صوتاً.. فنسمع
همسها بأذنينا بوضوح)

،

وضعت قطعة النقود المعدنية في يد طفلة الطريق
التي كانت هيئتها توحي بطفولة مسروقة . . . ونضج في غير أوانه . .
فكلماتها كانت تفوقها سناً . . . إذ سمعتها تُردّد وهي تبتعد عنها
(ليرزقك الله الأطفال كما رزقك المال)
فاقشَعَرّ جسدها لهذه الدعوة البيضاء التي لامست أذنيها
بصوت بريء لم تدنسه مصالح الحياة بعد
وتساءلت بدهشة : من أخبر هذه الطفلة بأن الأطفال أمنية مخبّأة في قلبها
ولطالما أرسلتها في دعائها سراً من ليالي الأرض إلى السماء
وأي صُدفة تلك التي أنطقتها بمثل هذا الدعاء ؟

،

ربما هي رسالة السماء جاءتها على لسان هذه الطفلة . . فهي أنثى تؤمن بمثل هذه الأشياء
كما تؤمن بالكثير من غرائب الأمور
والتي يطلق عليها (خرافات) و(خزعبلات)
بينما تراها هي (كرامات) و(معجزات) و(أساطير)
أساطير قابلة للعودة والتكرار . .
فهي تحب (العين الزرقاء) على الرغم من يقينها بأنها لاتمنع الحسد كما يتوهم عشاقها

وتعشق (صائدة الأحلام) على الرغم من يقينها بأنها لاتمنع
الكوابيس كما يظن أولئك الذين يحرصون على تعليقها على
حواف (أسِرّتهم)
وتحب مجالسة مدعيات قراءة الفنجان . . على الرغم من إيمانها
بأن الأقدار لاتختبىء في الفنجان
وتثير فضولها نساء الغجر حين ينثرن قواقع (الفال) على الخرقة
البيضاء . . ويُهمَس لها : (إرمي بياضك)

،

كانت تحفظ كل العبارات المشتركة بين قارئات الفنجان
وراميات الفال لـ
((أمامك سكة طويلة . . . وبشارة في طريقها اليك . . و
شخص ما يحبك بصمت)
إلخ من عبارات تردد على لسان (بائعات الوهم)
لكنها أبداً لم تصل يوماً إلى اليقين الذي وصلت إليه حين
لامس صوت تلك الطفلة أذنيها
لذا . . مضت وفي داخلها فرحة لاتعرف مصدرها
وكأن حاسة سادسة نبتت في داخلها
فاستشعرت بكل حواس الأنثى أنّ بشارة كبرى بانتظارها
وأن أمنية مفقودة تحت رماد اليأس ستستعيد دفئها وتشتعل مجدداً

،

بعد أشهر من عودتها إلى وطنها زَفّت إليها طبيبتها البشرى
الكبرى حين أخبرتها أنها حامل في شهرها الثاني
فتذكرت في أجواء فرحتها ببشارة الحمل طفلة الطريق
وتلك الحاسة السادسة التي سيطرت عليها في ذلك الوقت . .
حتى خيل إليها أنها تحولت إلى صوت هامس في أذنيها
فبعض الأحاسيس حين تشتد كأنه يصبح لها صوت ولسان
فتهمس في أذاننا بالكثير من الأحداث
لتصبح بعد فترة حقيقة

،

فَغَادرت العيادة واضعة يدها على بطنها بفرح . . كإمرأة في
منتصف حملها
هامسة في أذن صديقتها المرافقة لها : لو جاءت أنثى
سأطلق عليها اسم (يَمَام)
اسم طفلة الطريق . . تلك التي ظهرت لي ذات ازدحام على
هيئة بشارة بيضاء . .

مفاجآت العمر

(للعمر مفاجآت . . . توزع علينا كعُلب الهدايا
على امتداد طريقه)

وأنت على طريق الحياة
تجرّد من الدهشة وهيّيء نفسك لكل مفاجآت الطريق
فعلى طريق الحياة
ستفارق أناس لاتتوقع فراقهم
وسيرحل عنك أناس قبل موعدهم المتوقع للرحيل
وستترحم على أناس لم تتخيل يوماً الترحم عليهم
وسيخذلك أناس احتفظت بهم رصيداً لأيام عمرك القاسية
وسينصرك أناس سجلتهم في قائمة الأعداء ذات مواقف مختلفة
وسينتشلك من الضياع أناس توّهمت انهم يزرعون الشوك في طريقك
وستهمل أناس كانت راحتهم هدفك الأول . . وسعادتهم غاية تحيا بها
وستهتم بأناس لم يكونوا يوماً في قائمة إهتمامك
وسيتحول إلى أمنية حياتك أناس لم تدوّنهم في قائمة أمنياتك
وسيتركك في منتصف الطريق أناس ظننت أنك ستكمل العمر بصحبتهم

وستضطر ان تُنزل من سفينتك أناس ظننت انك لن تُبحر في الحياة من دونهم

وستتخلى عن أناس عشت عمرك تعدهم بألا تتخلى عنهم

وسترتدي أقنعتك أمام أناس تمنيت ان تتعامل معهم بوجهك الحقيقي

وسيقذف إليك بطوق النجاة أناس ظننتهم يتعجّلون غرقك

وسيتغير عليك أناس ظننتهم ثوابت حياتك كالجبال

وستتعرف على وجوه بلا أقنعة وأقنعة بلا وجوه

وستتعامل مع أناس كالتماثيل . . . وقلوب بلا مشاعر وضمائر بلا حياة

وستتنفس في أماكن كانت تخنقك . . وستخنقك أمكنة كنت تعجز عن مغادرتها وستتمنى أجنحة الطيور كي تغادر أماكن لاتشبهك في شيء

وستتخلى عن هوايات كنت تحبها . . وتمارس هوايات استحدثها الزمن بك

وستتعلم كي تخاطبهم بأخلاقهم لغة لاتشبه أخلاقك . . . ولهجة لا تمت لتربيتك بصلة

وستضطر لوسائل تبررها غايتك وتتقمص شخصيات كنت ترفضها بشدة

وستتعلم الحب من أناس ظننتهم منبت الكراهية في الأرض

وستعيش حكايات دافئة مع أناس ظننت ان الجليد استعمر مساحات أعماقهم

وستعتاد بلا حدود على عشرة أناس . . وستقلق على أرواح ستلتصق بروحك كثيراً

وستبحث عن طرقاتك القديمة وتفاصيلك القديمة ورفاقك القدامى

وستشتاق إلى منازل قديمة كنت تتعجّل الرحيل منها

الراحلون بالاجابات

(في الأغلب . . يَرْحل أحـدهمـا بالسـؤال . .
والآخر بالإجابة . . لذا تبقَى بعد الفراق الكثير
من الفراغات الموحشة)

،

كعشّاق القرون الرومانسية . . تتعرف إليَّ بأدب جَمّ . .
وتُهديني أغنية حُبّ دافئة
وتترقّب ردّ فعل أميرة مُدلّلة . . أو سيّدة نبيلة . . أو فتاة مُهذّبة
من الأوساط المخمليّة . .
فتنتظر منّي دهشة تدفعني للتعلق بسحابة مسافرة فوقي . . أو
القفز عالياً للإستقرار فوق نجمة مضيئة .أو فرد أجنحتي
للانضمام إلى سرْب الطيور المهاجرة
لكني أخذل كل تخيّلاتك الجميلة . . وأضحك من أغنيتك
حَدّ القهقهة . .
كأني فتاة غجريّة قليلة التربية . . لاتُجيد أداب المعامَلة . .
ولاحُسن التصرُّف . . ولا احترام الآخرين

،

عُذْراً سيدي . . لم يمت إحساسي ولا أنا أنثى تافهة
لكن بعض الألم يُضحك كطرافة
نعم . . بعض الألم يضحك كطرافة مفاجأة
ككذبة مكشوفة ألقتها إمرأة ثرثارة في مجلس للنساء
فأنا توقفت عن سماع الأغاني . . منذ ذلك الزمن الذي توقفت
فيه عن الحب
كانت آخر أغنية استمعت إليها . . هي تلك الأغنية التي

بكيت بشدة وأنا أدندن بها . . وكان صوتي يعلو مع كلماتها
كلما إرتفع الألم بي

،

كان الصمت يُخيم على شوارع المدينة . . على كل الطرقات . .
على كل المقاعد المنسية . . على كل الأمكنة . . رغم بكاء كل
الأشياء في داخلي
كانت تلك ليلة صيفية . . لكنها كانت باردة جداً . . كان الثلج
يتساقط في قلبي .كانت سماء روحي تمطر في داخلي بغزارة . .
وكنت أرتجف تحت غطاء ذهولي بشدة . . .

،

كنت أثرثر مع نفسي باستفسارات لا نهاية لها . . . ولا
إجابات . . فكنت أستفسر ولا أجيب . . فكل الإجابات بقيت
خلفي بينما علقت الأسئلة في طرف ردائي كطفلي وأنا أغادر
الحكاية . . . .
فعند الفراق يرحل أحدهما بالأسئلة . . . ويرحل الآخر
بالإجابات
وأنا كنت الطرف الراحل بالأسئلة . . وبكلمات أغنية حزينة . .
لاتزال على الرغم من السنوات كلما باغتتني
في زحامهم شتتتني . . واستقرت كصفعة على قلبي . .

فتقشعر لها ذاكرتي . . وتستيقظ كل التفاصيل النائمة بي
وتعيدني إلى تلك اللحظة الأخيرة . . إلى بقعة أرض غادرتها ذات حكاية
وأحدهم يصرخ بي (أحبيني بلا عقد) أو غادري . .
فأحمل (عُقدي) وأغادر

،

فكيف أحبه بلا عقد ؟ وأنا المولودة على يد رجل لايغيب ذكر الله عن لسانه
كيف أحبه بلا عُقد . . وأنا الطفلة التي كانت تردد وهي تتمرْجَح بفرح ﴿قل هو الله أحد ،الله الصمد ،لم يلد ولم يولد ،ولم يكن له كفواً أحد﴾
كيف أحبه بلا عقد . . وأنا تلك المراهقة التي كانت تقلب الصفحة بحياء حين تصف سطورها الحب وتفاصيله الصغيرة . .
كيف أحبه بلا عقد . . . وأنا تلك الناضجة الساخرة من حكايات حب تمارس في الهواتف وفي الأجهزة وعلى الأوراق
كيف أحبه بلا عقد . . وتلك العُقد كانت بمثابة جدار الحماية بيني وبين السقوط في تلك المنطقة المحرَّمة من الحب
تلك العقد كانت بمثابة وصايا القدماء . . جدي وجدتي وأجدادهم . . فكان يخجلني انتهاك حرمتها . .
لذا كنت أختار (عُقَدي) دائما . . وأفارق

،

حتى أصبح الفراق مع الوقت مدرستي الكبرى
فتكرار الفراق علمني . . كيف تجف عند الفراق كل البحور
وتختفي كل السفن
تكرار الفراق علّمني . . كيف لاتبقى الأرض مستوية . . وكيف
نتعثر في سَيْرنا عليها ليلة الفراق
تكرار الفراق علمني . . كيف لاتبقى ساعات اليوم بعد الفراق
٢٤ وكيف يصبح اليوم أطول
تكرار الفراق علمني . . كيف تصبح السماء ليلة الفراق بعيدة
جدا فلا نلمح سقفها . . وكأن الكون بقي بلا غطاء
تكرار الفراق علمني . . كيف نكره بعد الفراق أحَبّ التفاصيل
إلينا فلاتبقى مفضلاتنا ولاهواياتنا هواياتنا . .
ولانفسياتنا نفسياتنا
تكرار الفراق علمني كيف نشعر بعد الفراق بالبرد والفراغ
والغربة والتشرد
فنحزن بلا مطر . . ونرتجف بلا برد . . ونخاف بلا ظلام . . .
ونرقص بلا فرح

،

أتراك أدركت الآن اني حين ضحكت في وجه أغنيتك . . لم
أكن أنثى ساخرة
أنا كنت انثى متألمة . . تخفي تحت قناع
الضحك . . تفاصيل كثيرة

اختراع الفرح

(لا تُصادق أحزانك. . لأنك مع الوقت قد تشعر بضرورة الوفاء لها والتمسّك بها)

عامل حزنك كضيف عابر عليك . .
أكرمه واهتم به واحترمه كثيراً . . لكن لا تمنحه فرصة الإقامة معك أو بك
لأنه مع الوقت قد يتجرأ عليك كثيراً . .
فيسجنك بين أسواره ويسلبك حريتك . .
ويطيح بتاج الصحة من فوق رأسك

،

لذا تَعلّم ألاّ تتعلق بأحزانك
ولا تعش معها حكاية قوية
واحرص على أن كون العلاقة بينك وبين أحزانك هشّة وتافهة
كعلاقة عابرة على طريق سريع
ضع بينك وبينها خطوطاً حمراء ومساحة كافية لمنحك حرية التحرر منها
فاختراع الفرح لا يحتاج إلى قدرة على الطيران بلا أجنحة
هو فقط يحتاج إلى التخلص والتخفف من الأحزان
فالتخفف منها بمثابة أجنحة ترفرف بها بعيداً عن كل ضغوط الحياة . .

،

فابذل كل جهدك كي تكسب الفرح وتتخذه صديقاً مقرباً لك
فإذا ابتعد عنك لأي سبب اقترب أنت منه . .
وابحث عنه في أقرب الأماكن إليك
وتعلم كيف تخترعه من أبسط الأشياء
اخترعه بإقتناء أشياء يشعرك اقتنائها بالراحة
أو في المرور على شارع كان وجهتك المفضلة ذات عمر جميل
أو في طرق باب شخص كان يعني لك الكثير
أو في زيارة خاطفة لإنسان تزرع رؤيته فيك السعادة
أو في زراعة وردة على طريق شائك مهجور
أو في لقاء صديق قديم يحتفظ في ذاكرته بالكثير من قديمك
أو في التَبسّم في وجه صورة قديمة احتفظت لك بلحظة جميلة من ماضيك . .

،

نعم . . ابحث عن الفرح كما تبحث عن صديق يهمك أمره
فأماكن الفرح ليست بعيدة ولا يصعب الوصول إليها
فأحياناً يختبىء الفرح في محل لبيع ألعاب الأطفال
أو في طوق ياسمين صُنع لامرأة عاشقة
أو في كفٍّ لطالما أعانتك في طفولتك على الوقوف
أو في كتاب يشبهك كأن سطوره تسرد حكاية عمرك عليك
أو في العطف على حيوان أليف على جانب الطريق

،

وقبل أن تتردد في اختراع الفرح تذكّر
أن وجودك على كوكب الأرض لن يتكرر
وأن كل الطقوس الدنيوية لن تتكرر
حتى شخصيات عمرك لن تتكرر معك على الأرض
فأهلك ورفاقك وأحبّتك هم فقط أبطال حكايتك الدنيوية
تماماً كمراحلك الدراسية وكتبك المدرسية وفصلك الدراسي
ورفاق دراستك
ومناسباتك الجميلة ،، زواجك .. نجاحك .. أول اطفالك
سفراتك .. حكاياتك .. خصوماتك مع أهل الأرض
تناقض مشاعرك بين أفراح وأحزان
كل هذه تفاصيل دنيوية عابرة في عمرك
ستمضي بحلوها وبمرّها كالحلم

،

لذا لاتحزن على شيء
واقتنص لحظات الفرح قدر استطاعتك
فهي فرصة واحدة مُنحت لك كي تكون هنا
فوق هذا الكوكب
الذي يبتعد عن السماء كثيراً
ليدق الجرس يوماً .. ولتأتيك الإشارة الأخيرة .. والنداء الأخير

إن وقتك هنا قد انتهى
وإنك يجب أن تعود إلى السماء
فلا تعد إليها بأحزانك
وبأشياء قد تفسد عليك حياتك هناك

هي أنا

(كبرت (هي) .. ومازالت تفاصيلها الصغيرة
عالقة بي (أنا))

نعم كبرتُ . .
وأصبحت قامتي أطول من قامة (شقيقتي الكبرى) . . وأصبح
مقاس حذائي أكبر من مقاس حذاء(ابنة الجيران)
واختفى غبار الطرقات من باطن قدمي . . وتلاشت كل آثار
الجروح التي أورثتني إياها طفولة شقية
وأصبحتُ أحمل حقيبة يد وأضع أدوات تجميل وأرتدي نظارة
شمسية
لكن هذا لايمنع أني كنتُ
تلك الطفلة الشقية التي كانت تغادر منزلها للعب في
الفرجان صباحاً وتعود مساءً تجر في أطراف ثوبها . . وهن
الطفولة وأتربة الطرقات

أنا تلك الطفلة التي كانت تصر على ارتداء ملابس والدتها
صباح العيد على الرغم من طول الثوب وقصر قامتها .فكانت
ترتديها وتتعثر

أنا تلك الطفلة التي كانت تتسلق أسطح منازل الجيران لتطارد
حمامتها المفقودة أو لتأتي بالكرة المقذوفة عالياً

أنا الطفلة التي كانت(تدّعي) صوم رمضان في السابعة من
عمرها كي لاتتفوق شقيقتها الصغرى في الصيام عليها . .

أنا الطفلة التي كانت تحب الرسم بالفحم على حيطان الجيران فكانت ترسم سفينة وعصفورة وسمكة . .

أنا الطفلة التي طالما تمنت أن تختارها معلمة الموسيقى أو معلمة الرياضة للمشاركة في الحفلات المدرسية . . أو الإذاعة الصباحية

أنا تلك الطفلة التي كانت لاتذاكر دروسها . . ولا تكتب واجباتها المنزلية ولاتحرص على تحصيل علاماتها المدرسية

أنا تلك الطفلة التي كانت تفضل الجلوس في المقاعد الخلفية في الفصل الدراسي لتثرثر كثيراً وتأكل كثيراً . . وتشاغب كثيراً . .

أنا تلك الطفلة التي كانت تختبىء في الفصل وقت الطابور الصباحي كي تنقل واجباتها المدرسية من كراسة زميلتها . .

أنا تلك الطفلة التي كانت تكره حصة اللغة الإنجليزية لأن عصا المعلمة كانت أطول من قامتها .

أنا تلك الطفلة التي كانت تترك كتبها في المدرسة كي تخفف من وزن حقيبتها المدرسية

أنا تلك الطفلة التي كانت تزاحم الرفيقات في طابور المقصف المدرسي . وحين تصل بعد عناء تنتهي (الفطائر) والمشروبات الغازية

أنا تلك الطفلة التي كانت تكتب لزميلاتها في (اوتوغراف) الذكرى بأقلام التلوين وتلصق لهن ملصقات مذهبة وفضية . .

أنا تلك الطفلة التي كانت تتمنى أن تكبر فقط . . كي ترتدي (التنورة) الزرقاء وتكتب في دفاترها بقلم الحبر الجاف

أنا تلك الطُفلة التي كانت تفرح حين تطلب منها المعلمة مسح السبورة السوداء أو جمع أوراق الطالبات بعد الاختبار . .

أنا تلك الطفلة التي كانت تتوتر كثيراً حين تطلب المعلمة إظهار الواجب المدرسي وترتبك كثيراً حين تطلب (تسميع) السورة القرآنية

أنا تلك الطفلة التي كان أجمل أحلامها في المدرسة أن تعزف على آلة (الأكورديون) المعلقة على صدر زميلتها بنت (المعلمة) . .

أنا تلك الطفلة التي كانت تمسك آلة المثلث في فريق الموسيقى المدرسي وتضرب عليها بلا تدريب ولاذوق ولافن

أنا تلك الطفلة التي كانت تنتظر جرس انتهاء الحصة الدراسية قبل أن يصلها الدور في أسئلة المعلمةوتدعو الله كثيراً .. أن يدق الجرس سريعاً ..

أنا تلك الطفلة التي كانت تكذب كي لاتمارس التمارين الرياضية ..
وتتمارض كي لاتُشارك في جمع النفايات من ساحة المدرسة

فأنا تلك الطفلة التي كانت تبكي حين تضرب المعلمة زميلتها .. وتحمل كل أخطاء رفيقاتها كي تحمي رفيقاتها ..

أنا تلك الطفلة التي كانت تنصتُ إلى أسرار زميلاتها .. وتَحْفَظ السر وتتحمّل عَصَا المعلمة كي لاتبوح به ..

أنا تلك الطفلة التي كانت تفشل في المحافظة على أدواتها المكتبية .. وتفشل في تغليف كتبها المدرسية .. وتفشل في حل المعادلات الرياضية الطويلة ..

أنا تلك الطفلة التي كانت تنسى علبة أدواتها الهندسية دائماً . . وكل أقلامها الرّصاص مكسورة بلا مبراة

أنا تلك الطفلة التي كانت تعضّ رأس قلم الرصاص . . وتقضم الممحاة ذات الرائحة الزكية بأسنانها .

أنا تلك الطفلة التي كانت تتظاهر بالشبع أمام زميلتها حين تنسَى زميلتها مصروفها اليومي

أنا تلك الطفلة التي كانت تكره الأحذية . . وتركض في طرقات الفرجان حافية القدمين

أنا تلك الطفلة التي كانت تَعدّ دراهمها المعدنية يوم العيد . . وتتمنى ألاّ ينتهي صباح العيد

أنا تلك الطفلة التي كانت تشتري مكعّبات الجبن من مصروفها كي تُطعم قطط الطُّرقات

أنا تلك الطفلة التي كانت تُجيد (نَطّ الحبْل) وتمارس (العَجلة) على شاطىء البحر بمهارة

أنا تلك الطفلة التي كانت تُفضل اللعب مع(الصبيان) وتقود فريق أطفال (الفريج) بقوة

أنا تلك الطفلة التي كانت تكره تمشيط شعرها . . وترفض غسل قدميها قبل النوم . .

أنا تلك الطفلة التي كانت تحب كل أنواع الأكل . . ولاتُدقّق في الشكل والطعم والرائحة . .

أنا تلك الطفلة التي كانت تتسلق الأشجار بخفّة وتتدحرج بمهارة من فوق منحنيات الجدران والسلالم

أنا تلك الطفلة التي كانت تظن أنها (أميرة) وأن جدّها القوي لن يترك يدها ولن يُغادر الأرض يوماً

أنا تلك الطفلة التي كانت تفرح بهدايا الحجيج . . خواتم الزجاج الملون . . والصفارات . . والعباية الصغيرة . . وكاميرات الحج

أنا تلك الطفلة التي كانت تقف عند باب الدار في الشتاء . . كي تلعب في البحر حين تصل أمواج البحر إلى عتبة باب منزلها القديم

أنا تلك الطفلة التي كانت ترفع طرف ثوبها . . كي تخوض في مياه الأمطار المتجمعة في الطرقات

أنا تلك الطفلة التي كانت تظنّ أنّ هناك في مكان ما وعلى بقعة ما يعيش رفاقها أبطال المسلسلات الكرتونية

أنا تلك الطفلة التي كانت تُزيّن طائرات صديقاتها الورقية وتصنع ملابس الدمى لرفيقاتها الصغيرات . .

أنا تلك الطفلة التي كانت تُلوّن أظفارها سراً . . وتضع أحمر الشفاه سراً . . وتستمع إلى أحاديث الكبار خَلْف الأبواب سراً

أنا تلك الطفلة التي مزقت معلمة التربية الإسلامية أول محاولة كتابية لها . . وأمرتها بأن تتوقف عن الكتابة

أنا تلك الطفلة التي كانت تتخيل كثيراً وتكذب كثيراً وتثرثر كثيراً
وتعترف كثيراً وتنام كثيراً وتلعب كثيراً وتضحك كثيراً وتفرح كثيراً . . . وتعيش كثيراً

لم تكبر

(لأنّ العمر لا يُحاسبنا على الأيام بشكل يومي
فأيامنا تتراكم علينا كالديون دون أن نشعر بها)

ربما يجب أن نعيش تفاصيل كل مرحلة من مراحل العمر
كي نشعر أن الزمن بالفعل قد مَرّ علينا
وبأننا بالفعل قد كبرنا
فوقوفنا في مرحلة واحدة من العمر
لايجعلنا نشعر بمرور الزمن كثيراً .

لهذا بقيت هي طفلة
لم تشعر يوماً بأنها كبرت
فهي لم تلمح الزمن يمر بجانبها . . لكن الزمن لمحها
لهذا لم يُخالجها الشك يوماً
في أن الأيام التي كانت تقطع أوراقها من (روزنامة) مكتبها كل صباح لم تمرّها مرور الكرام
وأنّ الليالي التي كانت تستعجل مرورها
لم تكن خارج حسابات العمر معها . .
ولأن العمر لايحاسبنا بشكل يومي . . فنحن نأمن للوقت كثيراً
ونظنّ أنه يمر من أمامنا فقط

بينما هو يمرّ أيضاً من فوقنا . ومن خلفنا . . ومن تحتنا
ويتسرب من جهات لاتلمحها أعيننا!

،

لهذا نحن لا نكبر بالسرعة التي يكبر بها
أولئك الذين تَدرّجوا في ممارسة أدوارهم في الحياة
فالأنثى التي تتدرّج في أدوارها في الحياة (طفلة ، فتاة ، زوجة ، أم ، جدة)
تشعر بثقل الزمن أكثر من أنثى لم تمارس في الحياة سوى دور (فتاة)
لهذا هي لم تكبر أبداً . .

،

فهي لم تنوّع في الحياة أدوارها
ولم تغادر محطة (صباها) منذ سنوات طويلة
لم ترتد الفستان الأبيض
ولم تُجرّب السير مع رفيق عمر من اختيار القدر لها
فمازالت مقتنياتها القريبة
(معجون أسنانها ، شامبو شعرها ، صابون جسدها)
أشياء خاصة غير مشتركة
ومازالت كل دعواتها تحمل اسمها فقط
تقبلها وحيدة . . وتحضرها وحيدة . . وتُغادرها وحيدة!
ومازالت هداياها الخاصة
تُهدى بالسر وتُستقبل بالسر

مع الكثير من الخوف والترقُّب والقلق
ومازالت أغانيها حزينة
تُجسد لها وجه أحدهم

،

ولأن ضجيج الأطفال لم يتسرّب إلى عالمها
فهي مازالت تجد الوقت الكافي لفيروز ولأم كلثوم ولرواية حُبّ
لكاتبها المفضّل
ولفنجان قهوة داف‍ء
لا يسكبه على أوراقها طفل شقيّ

،

ولانها لم تُعانِ تسعة أشهر
ولم تحمل قطعة منها وهناً على وهَن
ولم تُهدهد في المهد طفلاً حقيقياً
فهي مازالت تحتفظ بدميتها الجماد
مازالت تستوقفها اللُعب فوق رفوف محلات الأطفال
ومازالت ألوان ملابسها المفضلة (الوردي والأزرق)

،

مازالت تتشهى كراسة الرسم وعلبة الألوان
مازالت ترسم صحراء وشجرة وشمس مشرقة في أعلى الورقة
كما كانت تفعل في حصة الرسم
مازالت تحن إلى القفز فوق الحبل وهي تُردّد مع رفيقاتها
(شَبَره ، أَمَره ، شمس ، نجوم)
ومازالت تحنّ إلى درّاجتها الملونة
التي لطالما سابقت بها رفاقها الصغار في طُرقات الحي القديم
ومازالت خيوط طائرتها الورقية تتداخل كلما حاولت إطلاقها
فوق شاطيء البحر

،

ما زالت تُذهلها التغيُّرات الزمنية على وجوه رفيقاتها
ويدهشها حَدّ الصدمة كيف أصبح أبناء صديقاتها بطول قامة أمهاتهم
وهي مازالت تعيش حلماً بأن يلتقيها الحب الحقيقي ذات عمر صدفة
أو أن يُغنّي لها أحدهم تحت شُرفتها المطلة على البحر
أو أن يضع أحدهم على عتبة بابها باقة ورد أبيض
أو أن تُشعل الشموع بانتظار رجل حلال
لاتتخفّى لشراء هداياه و لايُرعبها الإحتفال به أمامهم

إنها طفلة
لكن ملامحها في المرآة تختلف عن ملامح الطفلة
التي تستشعرها
فالمرايا التي تُظهر ملامحنا الخارجية
تَعجز عن إظهار ملامحنا الداخلية
لذا لايشعر بوجود مجموعة الأطفال الذين يسكنوننا سوانا
ولايسمع ضجيج لُعبهم وشقاوتهم سوانا
فهم نحن . . . لكنهم يختبئون داخليا
بعيداً عن وَهَن الحياة
بينما نواجه مِن الحياة الكثير!

عادات مؤلمة

(بعض العادات مؤلمة . . لكنها صديقة مقربة)

عادة مؤلمة تلازم الكثير منا

وهي عادة الاحتفاظ بالهواتف القديمة

تمسكاً بمحتوى (ميموراتها)

وبتفاصيل قمنا بتخزينها بها ذات مرحلة وإحساس ما

حتى تحولت الهواتف إلى عُلب تخزين

نتناولها عند الحنين بنهم

ولاتسد جوع سنواتنا مهما تناولنا

،

فلماذا نحول هواتفنا القديمة إلى مقابر جماعية

ندفن بها مرحلة أو مجموعة مراحل من العمر

بتفاصيلها وشخوصها وحكاياتها وأبطالها

ونهجرها في محاولة للنسيان

وللبدء في خطوة جديدة

نحو جديد ما

لكننا قد لانصل لهذا الجديد مهما خطونا

باتجاهه من خطوات

فبعض القديم يبقى تحت اقدامنا

كحجر عثرة

يُكرر سقوطنا

ويعرقل إلى الأمام خطواتنا

،

فلماذا نصر على الاحتفاظ ببقايا الأشياء
فيصيبنا إصرارنا على الوفاء لتفاصيل مؤلمة بالعجز والتردد في التخلص منها
ربما احتراماً لعمر ما
أو تمسكاً في لحظات دافئة
نعلم يقينا ان الحياة قد لاتكررها لقلوبنا مرة أخرى
فنحتفظ بها كإرث ثمين نخفيها في هاتف قديم
نجمدها بحروفها وتواريخها ودقائقها
ونتصفح الهاتف بابتسامة ميت إذا ماألقته الصدفة يوماً أمام أعيننا
ونقلب محتواه بحسرة عمر
كامرأة مسنة تقلب محتوى صندوقها القديم
تبحث عن ثمين ماضيها!
في كل قطعة ذكرى
وفي كل ذكرى عمر
فتشم العمر في الذكرى
تشم الذكرى في العمر

،

علماً بأن قديمنا لايحتفظ بعطره ومع هذا نحن نشم به رائحة ما
رائحة زمن ، رائحة حدث ، رائحة حزن ، رائحة فرح
رائحة موعد ، رائحة لقاء ، رائحة وداع
مجموعة روائح تعيدنا إلى الزمان ذاته والمكان ذاته
إلى حيث بدأت حكاية
وحيث انتهت حكاية

،

وتبقى هذه العادة ملاصقة لنا
فإذا ماقررنا يوماً البدء من جديد
فإننا نتوقف طويلاً قبل اتخاذ قرار التخلص منها
فإلقاء مرحلة من العمر في محرقة الأيام يحتاج إلى الكثير من القوة
والكثير من القسوة . . والكثير من الإرادة
لهذا الكثير منا يتحايل على قراراته
ويبرر احتفاظه بها تحت مسميات مختلفة !
ويستبدل قرار التخلص منها . . بقرار إخفائها
فيخفيها عن الأعين كدليل ثابت لماضٍ غير مرغوب فيه
من قِبل الآخرين

،

فاختصروا معاشرة الحزن !
تخلصوا من وفاء الأموات للأحياء
وأطلقوا سراح ذكرياتكم كعصفور مكسور الجناح
اتركوها ترحل بمرّها وسكّرها!
ولاتخزنوها في آلات إلكترونية
تتحول مع الوقت إلى . مقابر جماعية

،

فما أغبى الجريمة
حين نخزن تفاصيل اللحظات في آلة جامدة !
لنكتشف بعد سنوات من المعاناة
أن كل ماتبقى لنا من أجمل سنوات العمر
هواتف قديمة !
تتوسد أغبرة الأرفف والخزائن تحمل في ذاكرتها
مسجات وأرقاماً وصوراً لبشر مروا بنا يوماً
ورحلوا كما ترحل الأعمار
فلا هم داموا . . . ولا دامت الأعمار

الأمس

(الزمن لايعود إلينا . . . لكننا كثيراً مانعود إليه)

بعض الأماكن كأنك تكسر جدار الزمن كي تتسلل إليها
فها أنذا أتجول في مدرستي الثانوية التي غادرتها منذ سنوات
طويلة
وكأني عدت إليها من عالم آخر
وزمن آخر .. وحياة أخرى
فالأشياء هنا لم تعد تحتفظ بملامحها الأولى

،

اختفت أصوات صديقاتي من الفصول
وغابت الرفيقات من الطرقات
وتغيرت مقاعدنا الخشبية
واختفت طاولاتنا التي كتبنا
وحفرنا ورسمنا عليها بالرصاص
والسبورة السوداء لم يعد لها في الفصول الدراسية أثر ،
تغيرت الأشياء كثيراً
ومُسحت تفاصيلنا القديمة

،

فمن هنا مر الكثير من الوجوه ،
والكثير من الأصوات ، والكثير من الطقوس
والكثير من الذكريات

من هنا مر العمر الأخضر
العمر الذي تركناه بين زوايا المدرسة وغادرنا
غادرنا بحقائبنا القماشية
وكتبنا ، وأدواتنا المدرسية
وبالكثير من البكاء
البكاء الذي تقاسمناه في اليوم الأخير هنا
وكأننا كنا على يقين ، أننا سنترك هنا بين زوايا هذه المدرسة
مايستحق البكاء عليه بغزارة
فأغلقنا أبواب الفصول خلفنا . . .

،

وكبرنا
وحين كبرنا تغيرت في قلوبنا أشياء
وصغرت بأعيننا أشياء !
فلماذا كبرنا؟
لماذ تحولت جنائن الورد في دواخلنا إلى غابات موحشة ؟
لماذا حلقت طيورنا إلى البعيد حيث لاعش آمن ولاشجرة؟
من أيقظ هذه الذئاب الشبيهة برفاقنا حولنا؟
وحول حدائق الأرض إلى مساحات حريق؟
وأطلق أسماء رفاقنا عليها الذئاب
ماذا كان سيضيرنا ؟

لو اننا لم نكبر؟
لو أن أسرارنا البيضاء بقيت بيضاء
لو أن أحلامنا الشفافة بقيت شفافة
لو أن أحاسيسنا لم تخذلنا في منتصف الحلم
لو أن فرساننا لم يتحولوا مع الأيام إلى ورق
لو أن أبطالنا لم يتغيروا في
مراحل العمر!
ماذا كان سيضيرنا
لو أن النهايات جاءت كما تمنينا
لو أننا لم نكتفِ بوعود من ورق ومنازل من ورق وأطفال من ورق
لو أننا لم نصدق أن المعجزات عادت إلى الأرض
لو أن فساتيننا البيضاء لم تذبل في خزائن شبابنا ويعلو الصفار بياضها
لو أن الزمان تمهل قليلاً
ومنحنا وقتا أطول في أمسنا ولم يسرع الخطى باتجاه الغد

ماذا كان سيضيرنا؟
لو أننا لم نكبر على عرائس اللعب
وأفلام الكرتون

وآيس كريم جارتنا المسنة الطيبة؟

لو أننا لم نغادر مقاعدنا الدراسية على عجلة

لو أننا بقينا فوق بقعة الأرض تلك بانتظار باص المدرسة الأصفر

لو أننا احتفظنا بكتبنا المدرسية

لو أننا لم نهجر أقلام الرصاص والحبر

وعلبة الألوان وكراسة الرسم وأدواتنا الهندسية ؟

لكننا كنا أنقياء!

أنقياء لدرجة وضع البيض كله في سلة واحدة

وكنا سُذج

لدرجة الثقة في الغرباء

وسرد تفاصيل أحزاننا على زملاء الطرقات العابرة!

وكنا أبرياء

لدرجة الحب بلا هدف

والتضحية بلا مقابل ، والألم بلا حدود

،

كنا لا ندقق في وجوه وقلوب ومواقف المارة كثيرا

كان كل بائعي الورد أصدقاء

كان كل محبي الورد عشاق

كان كل غناء في الظلمة شوق

كان كل بكاء في الظلمة حنين
كانت أمانينا كلها في حكاية واحدة وفارس واحد وحلم واحد
لم نكن نشعر ان الحياة غابة ،
فكنا نغني (الثعلب فات فات ،وفي ذيله كل اللفات)
وحين كنا نتمادى بالسخرية
من أحزاننا كنا نتلاعب بالألفاظ
فنغني (العمر فات فات ،وفي ذيله كل السنوات)
وكنا نضحك كثيراً
دون أن نشعر بحجم المرارة المنسكبة من قلوبنا
ونحن نقر بمرور العمر !
لكننا داخلياً كنا نحزن ، نحزن كثيراً ،
ومع كل حزن جديد كنا نكبر أكثر
وكنا نصدق أننا حين نكبر أكثر سننسى
تماما كما كنا نصدق وعود أمهاتنا عند السقوط
(غداً تكبرون وتنسون)
لكننا كبرنا
ولم ننسَ
ولم نضحك حين التفتنا إلى الوراء كما أخبرونا
ومازلنا حين نحن ،وحين نتذكر نبكي
فالذي أبكانا بالأمس لم يضحكنا كما وعدوا
و الذي أضحكنا بالأمس حين

نلتفت إليه اليوم يبكينا ،
فكل الأحلام التى وقفت على بابنا لم تكن هي أحلامنا التي دوناها
في دفاترنا المدرسية
ولاأسقفنا مكسوة بالورد كما في حكاياتنا . .
وأطفالنا لم يحملوا الأسماء التي انتقيناها
لهم في حكاياتنا السرية!
فأعظم أسرارنا كانت حكاية . .
حكاية خضراء لكننا كنا نخفيها ونتهامس بها كالسر
وأغلب مواضيعنا المتعلقة بالقلب كانت سرية

،

كنا أوفياء لحكاية القلب
فلم نكن نعدد حكاياتنا . .
ولا قلوبنا كانت تتسع لأكثر من حكاية

الشماعة

(أغلبنا يحتفظ في حياته بشمّاعة ما . . . يُعلّق عليها كل فشل وهزيمة لايستطيع الاعتراف بهما)

لماذا نحن دائماً بحاجة إلى شماعة نعلق عليها كل ما لا نود إلصاقه بنا من الأخطاء والإنكسارات والفشل؟

فحين نفشل دراسياً نعلق فشلنا على شماعة الظروف .. وصعوبة المناهج وسوء المعلمين .. والمشاكل المدرسية

وحين نفشل عملياً
نعلق فشلنا على شماعة سوء الإدارة وإنتشار الفساد الإداري وتلوث البيئات العملية

وحين نفشل عاطفياً .. نعلق فشلنا على شماعة المجتمع والدين والعادات والتقاليد

وحين نفشل أخلاقياً .. نعلق فشلنا على ظروف التربية والبيئة ورفاق السوء وقلة المادة

وحين نفشل في استمرار الزواج .. نعلق فشلنا على شماعة القسمة والنصيب وعيوب الطرف الآخر
وحين نفشل في المحافظة على الأصدقاء .. نعلق فشلنا على شماعة رفاق السوء وقلة وفاء الأصدقاء

وحين نفشل في الحياة الاجتماعية . . نعلق فشلنا على شماعة سوء الآخرين وخطورة الإقتراب منهم

وحين نفشل في التجارة . . نعلق فشلنا على شماعة الحسد والحقد ونتهم الطرف الآخر بالغش والخيانة

وحين نفشل في مسابقة ما
نعلق فشلنا على الحظ . . وعلى تحيز أصحاب المسابقة لخصمنا الآخر

،

فلماذا لانتحرر من الشماعة
لماذا لانكون على قدر من الجرأة والشجاعة
ونضع الأسباب في فراغاتها المناسبة . . ونواجه الحقائق كما هي
ونعترف لأنفسنا بأن أسباب فشلنا الرئيسية نابعة منا نحن
وأننا حين نفشل في شيء ما . . فالسبب الحقيقي لهذا الفشل هو نحن
وأن لاذنب للآخرين في بقائنا بعيداً عن الصفوف الأولى من الحياة
ولا ذنب للآخرين في فقداننا لشيء لم نتمكن من الحفاظ

عليه بسبب خوفنا أو إهمالنا له
ولا ذنب للآخرين في إخفاقنا بحكاية حب فشلت بسبب
عجزنا عن إخراجها للنور
ولا علاقة للمحيطين بنا بتأخرنا عن أشياء أساسية كان يجب
ان نكون أول الواصلين عليها
ولا علاقة لسوانا بتضخم مساحات السوء بنا . .
وتقلص مساحات البياض في قلوبنا

،

فنحن بحاجة إلى أن نجرب الوقوف بلا شماعة
والمواجهة بلاشماعة . . . وان نعترف أن الحياة العائلية
كانت ستبدو أكثر دفئاً لو اننا بذلنا جهداً أكبر لحماية ترابطها

وأن البيئة العملية كانت ستبدو أجمل لو أننا زرعنا بها كميات
حب أكثر . . وعطاء أكبر

وأن الحكاية العاطفية . . . كانت ستكتمل بشكل أجمل
لو أننا تمسكنا بحقنا في حكاية ذات نهاية سعيدة . .

وأن الحياة الدراسية كانت ستبدو أنجح لو أننا لم نهمل
وحرصنا على سرقة الوقت قبل ان يسرقنا

،

لذا يجب ان نكون على يقين
بأ ن تعليق فشلنا وأسبابنا على الشماعة
قد يوفر لنا الكثير من المبررات التي نواجه بها الآخرين
ويقلل من ضغوطنا النفسية لفترة قليلة من الزمن
لكنه أبداً لن يدفعنا إلى الأمام
ولن يوضح لنا طريق الوصول إلى القمة
ولن يخرجنا من دائرة المتاهة أبداً

وستتحول الشماعة يوماً ما . . إلى سجننا النفسي
الذي سيصعب علينا الفرار منه

مرحلة

(الطقوس لا تموت عند انتهائها... لكنها تتحول إلى مرحلة)

العمر مراحل . . مرحلة قد تأتي بنا من آخر العمر إلى أوله . . .
ومرحلة قد تقذف بنا من أول العمر إلى آخره
وأنت ستبقى المرحلة المختلفة من عمري والمتناقضة بكل
طقوسها

فما من مرحلة انتظرت فيها أن يهديني البحر سفينة ما . .
كمرحلتك
وما من مرحلة أدمنت فيها الليل والسهر وأغاني الحب وقصائد
الحزن . . كمرحلتك

وما من مرحلة جربت فيها رقصة الذبيح وهزيمة المحارب وسقوط
الأوطان وانكسار المنفى . . كمرحلتك

وما من مرحلة أعادت لي عادات التوتر . . قضم الأظفار وهَز
الأرجل ووتجريح الشفاه . . كمرحلتك

وما من مرحلة أعادت إلي أنفي رائحة حقيبة سفر جدتي . .
وعطر جدي القديم . . . كمرحلتك

وما من مرحلة أعادتني إلى التاريخ وكتب الحب ومَصارع
العشاق والروايات الرومانسية . . . كمرحلتك

وما من مرحلة هذَّبَت سلوكي وعاداتي وكلماتي ومفرداتي وروّضتني . . . كمرحلتك

وما من مرحلة لازَمت فيها المرآة وأثواب الزينة وأدوات التجميل وقطع البخور . . . كمرحلتك

وما من مرحلة وثقت بها في العالم وأحسنت الظن بالدنيا وأحببت فيها أهل الأرض . . . كمرحلتك

وما من مرحلة تفنّنتُ فيها باختراع الصُّدف ونسج الأكاذيب واختلاق الأعذار لكي أراك . . كمرحلتك

وما من مرحلة أقلقت نومي وعلّقتني بالهاتف وتفاصيله ومسجاته وإضاءَاته . . . كمرحلتك

وما من مرحلة حدّثتُ فيها الطيور والبحور وعصافير الصباح وقطط الطرقات . . . كمرحلتك

وما من مرحلة قارنت فيها بيني وبين رفيقاتي وزميلات عملي وفتيات جيراني ونساء العالمين . . كمرحلتك

وما من مرحلة صعدت فيها الغيوم ونمت فيها على قطعة من سحاب وتجولت بها في الفضاء . . . كمرحلتك

وما من مرحلة جرّدتني من نُضجي وعلمي وثقافتي وخذلت فيها وصايا أمي . . . . . كمرحلتك

وما من مرحلة كنت فيها ليلى وعبلة وبثينة وتزوجت خيالاً وأنجبت خيالاً . . . . كمرحلتك

وما من مرحلة استترت فيها وأغلقت فيها الأبواب دوني ودونهم لكي أهاتفك بطيش مراهقة ولهفة عاشقة . . كمرحلتك

وما من مرحلة تقمصتُ فيها دور الغباء وغضضت بصري عن عيوب ظاهرة لعيني . . . . كمرحلتك

وما من مرحلة هجرت فيها نشرات الأخبار وأخبار الصحف وأحاديث النساء ومنغصات الحب . . . كمرحلتك

وما من مرحلة تلبّسني فيها جنون العشق وقلق الحنين ووساوس الشوق . . . كمرحلتك

وما من مرحلة تمنيت فيها أن يعود الزمان إلى الوراء كي أكون أجمل وأصغر وأصلب وأنشط . . . كمرحلتك

وما من مرحلة بنيتُ فيها بيوت الرمل وصنعت طائرات الورق وركضت بين الطرقات بقلب طفلة وقدمي طفلة . . كمرحلتك

وما من مرحلة تمنيت فيها أن يتوقف الزمان على عتبة باب الحكاية ويتوقف دوران الدنيا أمام رجل أعشقه . . . كمرحلتك

وما من مرحلة أرعبتني فيها سرعة الأيام . . وأقلقني مرور العمر وعجلة السنوات . . كمرحلتك

وما من مرحلة مارست فيها الثرثرة وتكرار الحديث عن التفاصيل وتحليل الكلمات والمواقف . . كمرحلتك

وما من مرحلة تمددت فيها تحت مقصلة الشك وضربت فيها الأخماس بالأسداس . . كمرحلتك

وما من مرحلة تتبعت فيها الشعيرات البيضاء وخطوط وجهي ووهن جسدي . . كمرحلتك

وما من مرحلة عشت فيها طقوس أرذل العمر وتوهمت فيها المرض واقتراب الأجل . . كمرحلتك

وما من مرحلة فقدت فيها الثقة بالثوابت وظننت أن الرياح قد تأخذ من (البلاط) الكثير . . كمرحلتك

وما من مرحلة تحسست فيها منابت الأجنحة في ظهري وغبطت الطيور على أجنحتها . . . كمرحلتك

وما من مرحلة مررت فيها على قديم جروحي وقديم أحزاني وقديم ذكرياتي مرور الكرام . . . كمرحلتك

وما من مرحلة اكتشفت فيها إعاقات الحب والمناطق المحظورة في الحب وإمكانية الخيانة برغم الحب . . كمرحلتك

وما من مرحلة ابتسمت فيها للوجوه وجالست فيها الغرباء كي أتقصى أخبارك . . كمرحلتك

وما من مرحلة أصابتني بالعجز وأشعرتني بأن لي يداً واحدة وقدماً واحدة وعيناً واحدة ونصف رأس . . كمرحلتك

وما من مرحلة شعرت فيها بأن الجبال قد تحركت من مكانها
وأن النجوم غادرت السماء باكية . . كمرحلتك

وما من مرحلة مزقت فيها روزنامة أحلامي وأعدت فيها
حساباتي ورسمت فيها ملامح المقبل من أيامي . . . كمرحلتك

وما من مرحلة شهدت فيها مراسم العزاء بي بعد انتهائها . .
كمرحلتك

غَير مقاييسك

(غَير مقاييسك ففي الغالب لاتبدو حقيقة
الأشياء . . كما نراها بأعيننا المجردة)

لا تعتمد على ظواهر الأمور في مقاييسك
فلاتجعل احتشام ملابسهم . . وطول أذقانهم . . وقصر أثوابهم . . . مقياسك لقوة دينهم

ولاتجعل فخامة منازلهم . . ومقتنياتهم الثمينة . . و رفاهية حياتهم مقياسك لحجم ثروتهم

ولاتجعل استمرار ضحكاتهم و ابتساماتهم الدائمة وأحاديثهم عن الفرح مقياسك لحجم سعادتهم

ولاتجعل كثرة الأمطار وإخضرار الأرض ووفرة الخير حولهم مقياسك لرضا الله عنهم

ولاتجعل صدقاتهم وتبرعاتهم وأعمالهم التطوعية مقياسك لحبهم للخير

ولا تجعل زياراتهم لمعارض الكتب . . وحجم مكتباتهم . . وعدد كتبهم . . . مقياسك لثقافتهم
ولا تجعل اتساخ ملابسهم وسوء مظهرهم وسؤالهم الناس . . مقياسك لفقرهم

ولاتجعل حديثهم عن الإخلاص والوفاء وحب العمل مقياسك لأمانتهم العملية

ولا تجعل بكائهم وشكواهم وتذمرهم من كل الأشياء حولهم مقياسك لتعاستهم

ولاتجعل ضياعهم وانحرافهم وسوء أخلاقهم مقياسك لسوء عوائلهم

ولا تجعل استقرار أحوالهم . . وهدوء محيطهم . . وسنوات استمرار علاقاتهم . . مقياسك لسعادتهم الزوجية

ولاتجعل نجاحهم الدائم . . ووصولهم للقمة . . واستمراريه حصدهم للجوائز . . مقياسك لتميزهم

ولاتجعل تواضع منازلهم . . وزهد حالهم . . وتقشف حياتهم . . مقياسك لبخلهم

ولا تجعل فخامة ملابسهم . . . ولمعان أحذيتهم . . وقوة عطورهم . . . مقياسك لنظافتهم

ولا تجعل هجومهم على المجتمع . . . وسخريتهم من التقاليد . .
واستهزائهم بالعادات . . مقياسك لتحضرهم

ولا تجعل حديثهم عن الدين . . . والصلاح . . . وتكرار العمرة
وتكرار الحج . . مقياسك لصلاحهم

ولا تجعل خوفهم عليك . . وقلقهم لغيابك . . وبكائهم
خلفك . . . مقياسك لصدقهم معك

ولاتجعل تأخرهم . . . وتكرار سقوطهم . . وتعرقلهم . .
وتخبطهم . . مقياسك لفشلهم

ولاتجعل حديثهم عن التفاؤل وعن التسامح وعن الغفران وعن
نسيان الإساءة . . مقياسك لإيجابيتهم

غرباء

(قد نكتشف بعد أن نغادر
أن المنازل التي كبرنا بها . . هي أيضاً كبرت بنا)

(وأنا مارق مريت . . جنب أبواب البيت)

فأنا كنت آخر من غادر ذلك المنزل وآخر من ودع الطرقات

وأول من مر على منازلها . . وأول من بكى أمام الأبواب

وأول من تمنى أن يطرق الباب بعد غياب . . فيفتح له عزيز غيبته الأيام . .

لكن الأمنيات تتحول أمام الدور القديمةمن حالة حنين إلى حالة بكاء

،

فكم يؤلم

أن تقف أمام باب دارك القديمة

ولاتستطيع أن تطرق الباب

لأن خلف الباب . . يعيش غرباء

وفي فناء منزلك يتجول غرباء

وأمام أشجارك العتيقة يجلس غرباء

وفي غرفتك التي شهدت مراحل عمرك . . ينام غرباء

وفي مكان اجتماعك العائلي يجتمع غرباء

وفي غرفة طعامك يأكل غرباء

وفي الزوايا التي كبرت بها . . يكبر غرباء

،

غرباء لايعرفون أهمية المكان . . ولا تاريخه
ولاتربطهم به ذكرى عتيقة
غرباء لم يتخيلوا الدار قبل إنشائها . ولم يتقاسموا غُرف الدار
بفرح قبل اكتمالها

غرباء لم يضعوا أساس المنزل بتعب . . ولم يرصوا (اللبنة على
اللبنة) . .
ولم ينتقوا الجار قبل الدار . .

غرباء لاتعرف الدار تفاصيل حكاياتهم وأحزانهم ولاتحفظ
الجدران أسماء من فقدوا من أحبة

غرباء لم يناموا في فناء المنزل عند انقطاع الكهرباء صيفاً
ولم يقاسموا ذويهم سهرة على السطح

غرباء لم يدفنوا في التراب عُلب (العصائر)
الفارغة ولا الدُمى القديمة كما كنت أفعل مع رفيقاتي الصغيرات . .

غرباء لم يستنشقوا رائحة المطر بالتراب حين كانت أرضية الدار
من تراب

غرباء لم يزينوا حيطان الغرف بصورهم . . ولم يرسموا على جدران المنزل بـ (الألوان الشمعية) و(الطباشير)
غرباء لم توقظهم طبلة (المسحراتي) في رمضان . .

ولم يوقظهم صوت المطر على أجهزة التكييف
غرباء لم تحرق شمس الصيف أياديهم وهي تُدير أجهزة الإرسال بحثاً عن القناة التلفزيونية الأوضح . .

غرباء لم تحتفظ الزوايا ببقايا أجدادهم ، ولا احتوت مكتباتهم المنزلية على نفائس الكتب

غرباء لم يجرِ أطفالهم صباح الأربعاء لإقتناء مجلة (ماجد) . .
ولا انتظرت فتياتهم صباح السبت لاقتناء (زهرة الخليج)

غرباء لم ينتظر أطفالهم مواسم (اللوز) و(النبج) كي يتسلقوا الأشجار . . ولا انتظروا صيف المدارس لـ اللعب في الفرجان . .

غرباء لا تلفت الطائرة أنظارهم . . . ولا يقفز أطفالهم فرحاً عند مرور الطائرات وأياديهم تلوح للفضاء . .

غرباء تخلو قصصهم الليلية لأطفالهم من (الشاطر حسن والساحرة الشريرة و سندباد القادم من بغداد)

غرباء لم يحتفلوا بنجاح أبنائهم على صوت عبد الحليم ولا وزعوا المشروبات الغازية عند إعلان النجاح . .

غرباء لم يفترش أبناؤهم أرضية الغرف لتغليف كتبهم المدرسية في أول يوم دراسي . .
ولا إمتلأت صناديق القمامة أمام أبوابهم ببقايا الكتب الممزقة في آخر العام .

غرباء لم تشهد مجالسهم ختمة القرآن في رمضان . . ولم يقفروا فرحاً لإعلان هلال العيد . .

غرباء لايضعون المصاحف عند رؤوسهم ولا يستيقظون على قرآن الفجر يتلوه في الزوايا رجل مسن

غرباء لم يحدثهم أجدادهم عن فلسطين وحلم الصلاة في الأقصى . . وعن غصن الزيتون وحمامة السلام

غرباء لم يتعرف أطفالهم في حصة التاريخ على طارق بن زياد . . وعقبة بن نافع . . والبطل صلاح الدين

غرباء لم يرعبهم غزو الكويت ولم يلصقوا (المفارش البلاستيكية) على نوافذهم تحسباً لغدر الصديق . .

غرباء لم يُغن كبيرهم مع صغيرهم ذات فرح (طار الشر يازايد وبإذن الله لنا عايد)

غرباء لم تشهد جدران الدار حرقة بكائهم حين تم الإعلان (زايد بن سلطان في ذمة الله)

غرباء اتخذوا من المنازل العتيقة مراحل مرهقة من أعمارهم . . ومحطات عبور إلى أوطان اضطروا لمغادرتها

،

فهناك . . حيث المنازل القديمة . . حيث الطفولة . . حيث البدايات
يعيش مجموعة من الغرباء
لاتشبه لغتهم لغتنا . . . ولاتفاصيلهم تفاصيلنا . . ولا أغانيهم أغانينا

غرباء يصارعون الغربة . . والفراق والحاجة
يعيشون طقوسهم المختلفة خلف الأبواب . .
ويحلمون بأوطانهم . . ومنازلهم الحقيقية
ويعدون أيام الغربة للرحيل . . .

المغادرون

(الذين لايحترمون النهايات . . هم في الأغلب
كانوا يعبثون في البدايات)

لا أحب أولئك الذين يغادرون محطاتي بلا سبب مُقنع
وبلا وداع .وبلا كلمة أخيرة أسجّلها لهم في الذاكرة
لأنهم يشعرونني بأن العلاقة التي كنت أكنّ لها الكثير من الاحترام
لم تكن في نظرهم سوى . . محطة تافهة
لاتستحق منهم تلويحة وداع أخيرة
وان المساحات الشاسعة التي أفسحتها لهم
لم تكن في نظرهم سوى (بقعة) لممارسة لعبة ما . .
وأن الأسرار التي أمنتهم إيّاها
لم تكن في نظرهم سوى (ثرثرة) لقتل وقت مُمِل

،

لا أحب الذين يتركون في ظلمة الطريق يدي . . و يخطفون (مظلّتي) تحت الشمس ويهدون للهجير . . ردائي وقلبي وغطائي

لاأحب الذين يُشرّعون نوافذ الحكايات للبرد والخذلان والوحدة ويلتفتون حولهم كي يتأكدوا من خلو الأماكن ليطلقوا للغياب أقدامهم

لا أحب الذين يختارون الرحيل وقت المطر . . ووقت البرد . . ووقت الرعد .فيسرقون فرحة الشتاء منّي . .

لاأحب الذين يَنسفون في اللحظة الأخيرة كل المدينة التي شيّدتها لهم
. . ويختفون من حولي حين تشتد رياح الأيام حولي

لاأحب الذين يَعبِرُون العمر كاللصوص . . . ويتجولون في طُرقاته كاللصوص . . وينهبون من أيامه كاللصوص . . . ويغادرون بصمت الجُبناء

لاأحب الذين لايتصرفون بتهذيب . . ويمارسون كل أنواع (قلة التربية والأدب) حين يُ دركون أنهم على رحيل

لاأحب الذين يَرمون أنهاري بالحجارة فيعكرون صفاء أنهاري التي حرصت العمر كله على أن تبقى صافية نقيّة

لاأحب الذين يرحلون بِلامصافحة وبلا عِناق قلوب وبلا عبارات مُهذّبة يختمون بها حكاية كانت آمنة

لاأحب الذين يتخلون عن شموخ قاماتهم ويتحولون عند الرحيل إلى أقزام ويصرون على نهايات صغيرة

لاأحب الذين يهبطون في النهايات . . ويُصرّون على الرحيل من القاع . . فيتلوثون قبل الرحيل بالكثير

لا أحب الذين يودعونني بمشهد تمثيلي حفظوا حواره وكلماته وحركاته وكذباته المتشابهة حَدّ السخرية

لا أحب الذين يتباكون في المشهد الأخير من العلاقة كي يُثبتوا أنهم كانوا (ضحية) وانهم كانوا الطرف الأصدَق في الحكاية

لا احب الذين لايحترمون النهايات ولايحرصون على وضع زهور النهاية على قبر علاقة كانت قبل نهايتها تضجّ بالحب والحياة

لا أحب الذين يُبالغون بالمثالية في البدايات ويبالغون بالسقوطِ في النهايات

تناقض

(كي نتأقلم مع حياة مختلفة عنّا . . . أتقنّا الدور
جيداً حتى أصبحا كتلة من المتناقضات)

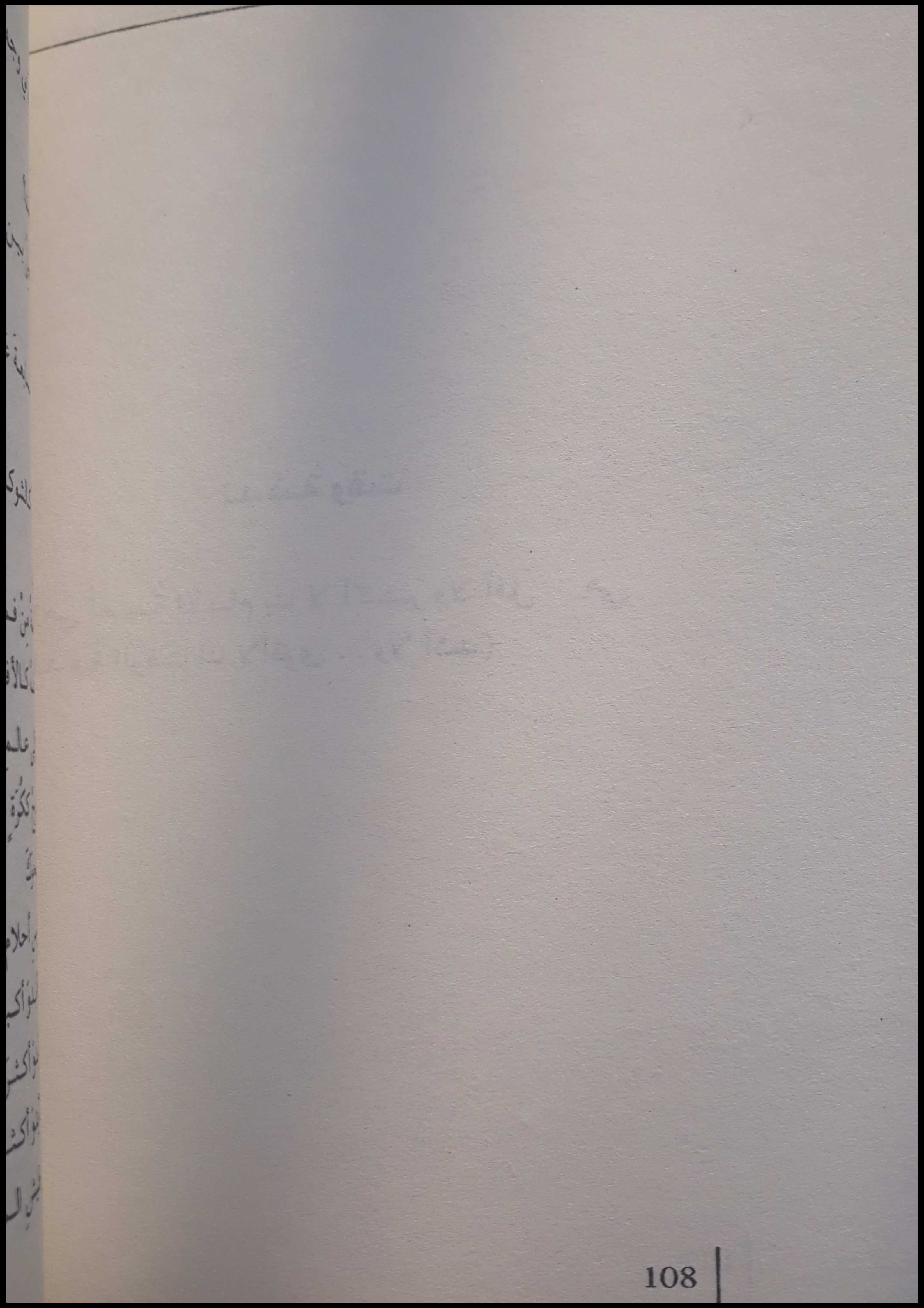
كي تبدو الصورة أمامهم جميلة ومثاليّة
مَثّلنا القوّة ونحن في قمة الضعف
ومثلنا الحب ونحن في قمة الكراهية
ومثلنا الفرح ونحن في قمة الحزن
ومثلنا الطمأنينة ونحن في قمة الخوف
ومثلنا التأقلم ونحن في قمة النفور
ومثلنا القبول ونحن في قمة الرفض
ومثلنا الرفض ونحن في قمة القبول
ومثلنا الإقبال ونحن في قمة الإدبار
ومثلنا الهدوء ونحن في قمة الغضب
ومثلنا القناعة ونحن في قمة السخط
ومثلنا اللامبالاة ونحن في قمة الاهتمام
ومثلنا النشاط ونحن في قمة الوهن
ومثلنا النسيان ونحن في قمة التذكر
ومثلنا التضحية ونحن في قمة الأنانية
ومثلنا الاكتفاء ونحن في قمة الاحتياج
ومثلنا المثالية ونحن في قمة الضياع
ومثلنا الاستقرار . . ونحن في قمة التخبط
ومثلنا النّقاء ونحن في قمة التلوّث
ومثلنا الصدق ونحن في قمة الكذب

ومثلنا السكينة ونحن في قمة القلق
ومثلنا الاقتناع ونحن في قمة التردّد
ومثلنا التصديق ونحن في قمة التكذيب
ومثلنا الثقة ونحن في قمة الشك
ومثلنا الشموخ ونحن في قمة الانكسار
ومثلنا الاستغناء ونحن في قمة الاحتياج
ومثلنا النجاح ونحن في قمة الفشل
ومثلنا التفاؤل ونحن في قمة التشاؤم
ومثلنا الدهشة ونحن في قمة البرود
ومثلنا التوهج ونحن في قمة الانطفاء
ومثلنا النشاط ونحن في قمة الوهن
ومثلنا الجهل ونحن في قمة العلم
ومثلنا الخجل ونحن في قمة الجرأة
ومثلنا الصداقة ونحن في قمة العداوة
ومثلنا البراءة ونحن في قمة الخبث
ومثلنا الحق ونحن في قمة الباطل
ومثلنا النصر ونحن في قمة الهزيمة
ومثلنا الشعور ونحن في قمة التبلد
ومثلنا الايجابية ونحن في قمة السلبية
ومثلنا الديمقراطية ونحن في قمّة الدكتاتورية

ومع الوقت . . أصبحنا نُجيد التمثيل
وأصبحت الصورة أمامهم جميلة جداً
خدعناهم ؟ نعم خدعناهم
هم صدّقوا الكذبة
ونحن دفعنا ثمنها

لدغةُ وَقت

(هي لُعبةُ الأيام بنا لا أكثرَ ولا أقلَ.. هي لدغةُ الوَقتِ لنا لاأقوى.. ولا أشَد)



الوقتُ الذي مضى بكَ مُنذ سنواتٍ طويلةٍ ثمّ أعادَكَ هذا المساء
إلى عالمي وقذفَ بكَ في وجهِ واقعي كجُثةٍ أُخرِجَتْ مِنْ تحتِ أنقاضِ الأيام
أهذا أنتَ؟ أحقاً هذا أنت؟

الرَجُلُ الذي كان يَفصِلُ بين عُمري وعُمرِهِ خمسةَ عَشرَ عاماً وأكثر.
كنتُ يومَها طِفلةَ السابعةَ عَشر وكُنتَ أنتَ رَجُلَ النُضجِ الثلاثيني
كانتْ سنواتُكَ تقِفُ كالشوكةِ في فمِ قلبي فتمنعُني مِنَ الاعترافِ لكَ بحُبي
خَشيةَ أنْ تخرُجَ الكلمةُ مِنْ فمي مجروحةً غارقةً في دمِها
كانتْ سنواتُكَ تَلتفُ كالأفعى حولَ عُنقي وقَدمي فتُعيقُني مِنَ الدُخولِ إلى عالمِكَ
كانتْ سنواتُكَ تتدحرجُ ككُرَةٍ مِنْ نارٍ فتقِفُ بيني وبينكَ وتمنعُني مِنَ التقدُّمِ نحوَكَ
أو الاقترابِ منكَ كفارسِ أحلام.
معكَ كنتُ أحاولُ أن أبدوَ أكبرَ سِنّاً وأكثرَ نُضجاً
معكَ كنتُ أحاولُ أنْ أبدوَ أكثرَ ثقافةً وأشدَّ وعياً
معكَ كنتُ أحاولُ أن أبدوَ أكثرَ أدباً وأنقى تربيةً
معكَ كنتُ أسخرُ مِن طيشِ المُراهقين وخَيالِ المُراهِقاتِ

لكنني بيني وبين نفسي كنتُ أحبُكَ
وبيني وبين نفسي كُنتُ أراهِقُ بكَ
وبيني وبين نفسي كُنتُ أخجلُ أنْ أصارحَكَ
أني كُنتُ أكتبُ حُروفَ اسمِكَ في كراستي المدرسية
وأني كنتُ أحدّثُ عنكَ في فسحةِ المدرسةِ صديقاتي
المراهقاتِ
وأني كُنتُ أكتبُ لكَ مِن قُصاصاتِ الحُبِ ما لم أكنْ
أستطيعُ إرسالَهُ لكَ
وأني كنتُ أنزفُ بكَ مِنَ الشعرِ ما لا أستطيعُ إطلاعَكَ عليه
وأني كنتُ أخفي رسائلَكَ عن والدتي في خزانتي وتحتَ
ملابسي
وأني كنتُ أتتَبّعُ أخبارَكَ في الصُحفِ وأجمعُ قُصاصاتِ
كتاباتِكَ

،

آهٍ لو أنكَ دخلتَ عالمي يوماً لأخبرَتْكَ قصاصاتُ الصُحفِ
كَم كنتُ مجنونةً بكَ
لو أنكَ دخلتَ عالمي لاكتشفتَ كم أتقنَتْ طِفلةُ السابعةَ
عَشر دَورَ النُضج
كي تبقى معكَ أكثَرَ وتحتفظَ بكَ أطولَ فترةٍ مِنَ العُمر .
أهذا أنت؟

تَغيرتَ كثيراً؟ملأَ الشَيبُ رأسَكَ وارتسمَتْ همومُ الوقتِ
على وجهِكَ
فعَشرُ سنواتٍ مَرَّتْ مِنْ عُمرِكَ وعُمري كانتْ جديرةً بأن
تُغَيّرَ بكَ وبيَ الكثير،

فلماذا أعادَكَ الوَقتُ إليَّ الآن؟
ألم تُغادرْ سَفينةُ نوح مُنذ زمنٍ وأنتَ على ظَهرِها مع أنثاكَ
التي اختارَها لكَ القَدرُ قَبلي
وأنا فوق الشاطئِ أقاومُ برُعبِ طفلةٍ ما لا طاقةَ لي به مِنْ
طُوفانِ فراقِكَ؟
لماذا أعادَكَ الوقتُ إليَّ الآن؟
ألم تُلقِ بكَ الأيامُ في غيباتِ الجُبِ وأرسلَتْ لي قميصَكَ
مُلَطّخاً بدَمِ الظّروف؟
ألم تُحدِثْني يوماً عن ابنةِ السُلطانِ التي عشِقتْ ابنَ
الحَطابِ
وعن طعنةِ الواقعِ التي أدمَتْ عند الفراقِ قلبيهِما؟
ألم تسرُدْ عليَّ يوماً حكايةَ ليلى التي أكلها الذئبُ
وصَرختُ في وجهِكَ مُعتَرضةً: ليلى لم يأكلْها الذئبُ.
ألم تحدثني يوماً عن سندريلا التي رفضَتْ الزواجَ مِنَ
الأميرِ وصرختُ بكَ مُتسائلةً:

لماذا تُغيّرُ نهاياتِ الحكاياتِ؟
فأخبرتَني : كي لا يقتلَنا الإحساسُ بأننا الحكايةُ
الفاشلةُ الوحيدةُ على الأرض

،

أهذا أنت؟أحقاً هذا أنتَ؟
الرَجُلُ الذي أحبَّني كعينيهِ
الرَجُلُ الذي مِنْ شِدةِ خوفهِ عليَّ غادرَني
وأطفأ بيديهِ عينيهِ ،
الرجُلُ الذي قال لي يوماً :
كُلُّ النساءِ أنا وألا امرأةً تُعادلُني لديهِ
واستكثرَني على رجالِ الأرضِ كلّهم
وقالَ : وداعاً واستكثرَني حتى عليه
وأوصاني عند الرحيلِ بي خيراً
وتركَ عِطرَهُ في يدي
وأدارَ لي ظَهرَهُ وتوارى
ماسحاً دموعَهُ بيديهِ
وكم توالَتِ الأيامُ بَعدَهُ
وكم سألني قلبي عنهُ باكياً
وكم أبكَتْني الليالي شوقاً إليهِ .

الأصدقاء

(ما أغرب هذه الحياة .. قد تقدمهم لنا على هيئة أصدقاء .. وتأخذهم منا .. على هيئة أعداء)

في كل مرحلة من مراحل أعمارنا هناك محطات نسجل عليها حكاية ما . .

قد تكون حكاية حب أو حكاية أخوة أوحكاية صداقة

فهناك محطات (تهدي) . . الأصدقاء

وهناك محطات . . (تبلع) الأصدقاء

وهناك محطات . . . (تُصنف) الأصدقاء

وهناك محطات (تُغرق) الأصدقاء

وهناك محطات (تبادلنا) . . الأصدقاء

فتأخذ صديقاً . . لتمنحنا في الوقت ذاته صديقاً آخر

فتنحت بنا في النهاية مجموعة من الحكايات

بوجوه وتفاصيل وألقاب مختلفة

وتختلف التفاصيل باختلاف المراحل

فأصدقاء الطفولة نقاسمهم . . اللعب

وأصدقاء المراهقة نقاسمهم . . الأسرار

وأصدقاء النضج نقاسمهم . . الخبرات

وأصدقاء آخر العمر نقاسمهم . . الذكريات

لذا في داخل كل منا مدينة لأصدقاء مروا هذا العمر على اختلاف مراحله

تركوا بنا ماتركوا . . وسلبوا منا ماسلبوا

غادر بعضهم أكبر حجماً مما جاء . . وغادر البعض الآخر منهم

أصغر حجماً

فالمواقف هي من تحدد الأحجام الحقيقية في العلاقات

،

وقد تجرفنا الحياة باتجاهات مختلفة

لكن . . هناك علاقات وصداقات لاتموت حتى حين تختفي

ونحن إليها بين فترة وأخرى

لأنها لم تغرس بنا إلا الخير

ولم نحصد منها إلا الفرح

فنذكرها بحب وحنين

ونحتفظ بها في ذلك الجانب الآمن من الذاكرة

ونعود لدفاترهم حين تخنقنا الحياة

لنعاود قراءتها من جديد

،

فأول صداقة بريئة في عمري كانت (منى)

فمنى قاسمتني الطفولة في الحي العتيق

ورافقتني لباص المدرسة الأصفر

وسارت معي في طرقات المدينة القديمة

ولعبت معي في عز البرد وعز الحر وفوق الرمال وتحت المطر

.. ومثلت معي أول أدوار الأمومة

واعتنت معي بالدمية الصغيرة

وقفزت معي فوق الحبال بفرح

وقاسمتني وضع النقود المعدنية في الحصالة الصغيرة

وأيقظتني بفرح صباح العيد

،

وأول صداقة نقية في عمري كانت (خولة)

صديقتي التي أهدتني إياها الحيـاة في المرحلة المتوسطة من الدراسة

فجاورتني في مقعد الفصل ..

وشاركتني وجبة الفسحة المدرسية ..

وأعارتني القلم الفائض عن حاجتها ..

واستعارت مني أدواتي الهندسية

وكبرنا معاً .. وودعنا الطفولة معاً ..

وارتدينا الحجاب معاً

وتخلينا عن لعب الطرقات معاً

،

وأول صداقة عميقة في عمري كانت (سمية)
سمية التي اقتربت مني في السنة الأولى لفقد أخي (أحمد)
فإلتصقت بي كالوفاء
وقاسمتني تفاصيل المرحلة الثانوية
والأسرار النقية والمكالمات المطولة
والضحكات القلبية والأمنيات الخضراء
وأسرار المراهقة الأولى في أول العمر الجميل . .

،

وأول صداقة حقيقية في عمري كانت (ليلى)
ليلى التي طرقت أبواب عمري في المرحلة الجامعية
تلك المرحلة التي لايشبهها في العمر شيء
والتي قد تُصنف لدى الأغلبية
بأجمل سنوات العمر حيث نكون فيها بمرحلة التفتح الحقيقي على الحياة
وحيث تكون الأحلام فيها خضراء والأمنيات خضراء والأسرار خضراء
ليلى قاسمتني السكن الجامعي
ولياليه النابضة بالحياة . . . والسهر . . والحكايات . . والأحزان . . والانتكاسات

يمام

وضجيج فتيات في أول العمر
وأحلام (صبايا) قلوبهن بيضاء كالسكر

،

ما أروع محطات الأصدقاء
دفاترهم . . أوراقهم . . تفاصيلهم . .
لكن الأصدقاء ككل الأشياء الأخرى . . يغادرون
وتبقى التفاصيل خلفهم
لتُذكر أحياناً . . ولتؤلم أحياناً أخرى
فما أغرب هذه الحياة
تقدمهم لنا على هيئة أصدقاء
وتأخذهم منا . . على هيئة أعداء
فتعمقوا بكم
افتحوا دفاتركم القديمة
سافروا في أعماركم الماضية
زوروا تلك المحطات التي كانت يوماً صفحات من عمر جميل
وصافحوا الأصدقاء القدامى بكل تفاصيلهم التي غطاها غبار الوقت

درّسوهم الحب النبيل

(درّسوهم الحب النبيل ، خرجوا للحياة نبلاء
حب وأخلاق)

لم يدرسونا الحب والرومانسية في المدارس

لانهم كانوا يدرجون الحب في قائمة الممنوعات و قلة الأدب

فكانت كل ردود أفعالهم تجاه استفساراتنا عن الحب توحي بأن

الحب شيء(عيب) أشبه بالعار وبالخطيئة

ولم يشرحوا لنا الفرق بين الحب كـ (عاطفة نبيلة)

والحب كـ (حكاية محرمة)

فكان كل شعور للمرأة تجاه الرجل حراماً

وكل حلم للمرأة بالرجل حراماً

وكل كتابة من المرأة للرجل حراماً

حتى لو كان ذلك الشعور والحلم والكتابة بينها وبين نفسها

وعلى الورق

،

كان همهم الأكبر تلقيننا دروس الدين واللغة والحساب والعلوم

فمناهجهم كانت تخلو من صفحة خاصة للحب

يتم بها تعريف الحب بطريقة تليق به كعاطفة (نبيلة)

فحين درسونا بر الوالدين ، وصلة الرحم ، وحق الجار ، واحترام

الصديق ،

تطرقوا إلى الدين والطاعة والرحمة والعطف والوفاء والإخلاص

والأجر والثواب والأخلاق

ولم يتطرقوا . . إلى (الحب)

كانوا يتجنبون الاقتراب من الحب كـ(لفظ)
لذا التبس علينا الكثير من الأمور . .
فخرجنا للحياة بمفاهيم خاطئة عن الحب وعن علاقة المرأة بالرجل
وكبرنا وأغلبنا أبطال حكايات حب سرية
دفعونا بتكتمهم إلى الكذب وإلى اكتساب عادات سيئة كي نحافظ على حكاياتنا

،

ردود أفعالهم تجاه استفساراتنا عن الحب . .
أشعرتنا بأن الحب هو فقط حكاية (مرفوضة) بين امرأة ورجل
وان الحكاية المرفوضة يجب أن تمارس في الخفاء .
كي لانرمى بـ (قلة الأدب)
فبنت الجيران التي تحب بن الجيران من بعيد (قليلة أدب)
والمراهقة التي تقرأ روايات الحب وقصائد الغزل . . (قليلة أدب)
والناضجة التي تبحث عن حلول مشاكلها الصحية في الكتب . . (قليلة أدب)
والطالبة التي ترتدي الذهب و (الاكسسوارات) على الزي المدرسي المحتشم (قليلة أدب)

،

أوصلوا إلينا مفهوم قلة الأدب بأساليب خاطئة

لذا ظننا

أنه يجب أن نكذب ونتلون ونتحايل

كي نحافظ على حكايات حبنا في الخفاء

وأن الذين يجيدون أحاديث الحب هم الأصدق إحساساً

فظلمنا الكثير من القلوب الجميلة التي مرت بحياتنا

فقط لأنها كانت لاتجيد التعبير عن الحب أو كتابته في رسالة معطرة

ولهذا السبب أيضاً

انتصر في الحب أولئك الذين يجيدون نسج العبارات العاطفية

وبيع الأحلام على قارعة الحكايات الكاذبة

،

ليتهم أنصتوا إلى استفساراتنا البيضاء على المقاعد المدرسية

ليتهم لم يتهمونا بقلة الأدب لأننا كنا نبحث عن الجانب الآخر من الأحلام والعاطفة

ليتهم علمونا الفرق بين سلوكيات بشرية تُدرج تحت مسمى (أخطاء طبيعية)

وسلوكيات سيئة تُدرج تحت مسمى (قلة الأدب)

ليت درجة السلوك التربوي لم تكن مهددة باستفسار عن معنى

الحب بين امرأة ورجل
أو اكتشاف ورقة حب في حقيبة طالبة مراهقة
أو وردة حمراء تحملها صبية في أول عمرها
أو أحمر شفاه تزينت به مراهقة من خلال (مصاصة) حمراء
أو(آيس كريم) أحمر اللون
أو قصة حب كتبتها طالبة موهوبة بالكتابة
أو قلب يخترقه سهم رسمته فتاة نقية على مكتبها المدرسي
تعبيراً منها عن الحب

،

فماذا كان سيضيرهم
لو أنهم لم يضعوا كل تلك الخطوط الحُمر أمامنا
لو أنهم لم يصادروا كل استفساراتنا لاكتشاف جزء من الحياة
لو أنهم لم يغلقوا الأبواب بكل تلك القوة في وجوهنا
لو أنهم نبهونا إلى أن ليس كل الحكايات صادقة ولا كل الحكايات كاذبة
لو أنهم تعاملوا مع تمردنا الطفولي على أنه تمرد مرحلة طبيعية من العمر
لو أنهم قابلوا بياضنا ببياض ولم يتهمونا بقلة الأدب
لو أن معلمة اللغة العربية لم تصرخ في وجه زميلتي التي ضحكت ونعتتها بقلة التربية

لو أن معلمة التربية الإسلامية لم تصدر حكمها بدخول زميلتي
النار لأنها كانت تحب سماع الأغاني

لو أن الأخصائية الاجتماعية لم تستدعي ولي أمر زميلتي لأنها
وجدت صورة ممثلها المفضل في كتابها المدرسي

،

نعم
كان في إمكان مرحلة المراهقة أن تمر جميلة كالأحلام
لو أن البعض لم يضخم أخطاءنا خلالها
لو أنهم أخبرونا بأن ليس كل الحب حرام
ولا كل الحب (خطيئة)
وأن هناك أنواعاً من الحب الحلال يحثنا عليها الدين والمجتمع
لو أنهم شرحوا لنا أن ليس كل الحب أخضر ولا كل الحب نقياً
وأن هناك من يرتدي الأقنعة كي يجيد أدوار الحب
وأن هناك من يسرق العمر باسم الحب
وأن هناك من يلوث (السمعة) باسم الحب
وأن هناك من يحرق مساحاتنا الداخلية باسم الحب
وأن هناك من يفقدنا الثقة بالآخرين باسم الحب

،

لكنهم أبداً لم يفعلوا ولم يشرحوا ولم ينصحوا
تعاملوا مع عاطفة الحب على انها تلك المنطقة المحرمة ..
و العاطفة ذات الخطوط الحُمر
والتي لايجب تجاوزها
لذا لم تكن طريقتهم في الحديث عن الحب كافية لإرضاء استفسارات أرواح كانت تفرد أجنحتها للمرة الأولى للخروج إلى فضاء الحياة
ولم تكن كافية لسد ذلك الفراغ المرعب في قلوب صغيرة مازالت مساحاتها جديدة
فالمعلمة كانت تقلب صفحة الكتاب التي تتحدث عن الأمور الخاصة
كانت تترك للحياة مهمة تعليمنا أمور مهمة كان يجب ان نتعلمها في الصفوف الدراسية كي نتجنب منعطفات طريق العمر ،
لكننا لم نتجنب تلك المنعطفات . . . كنا نتلهف ونجرب ونصدق ونثق ونُخدع ونسقط ونتألم ونعاود الوقوف ، ثم نكرر

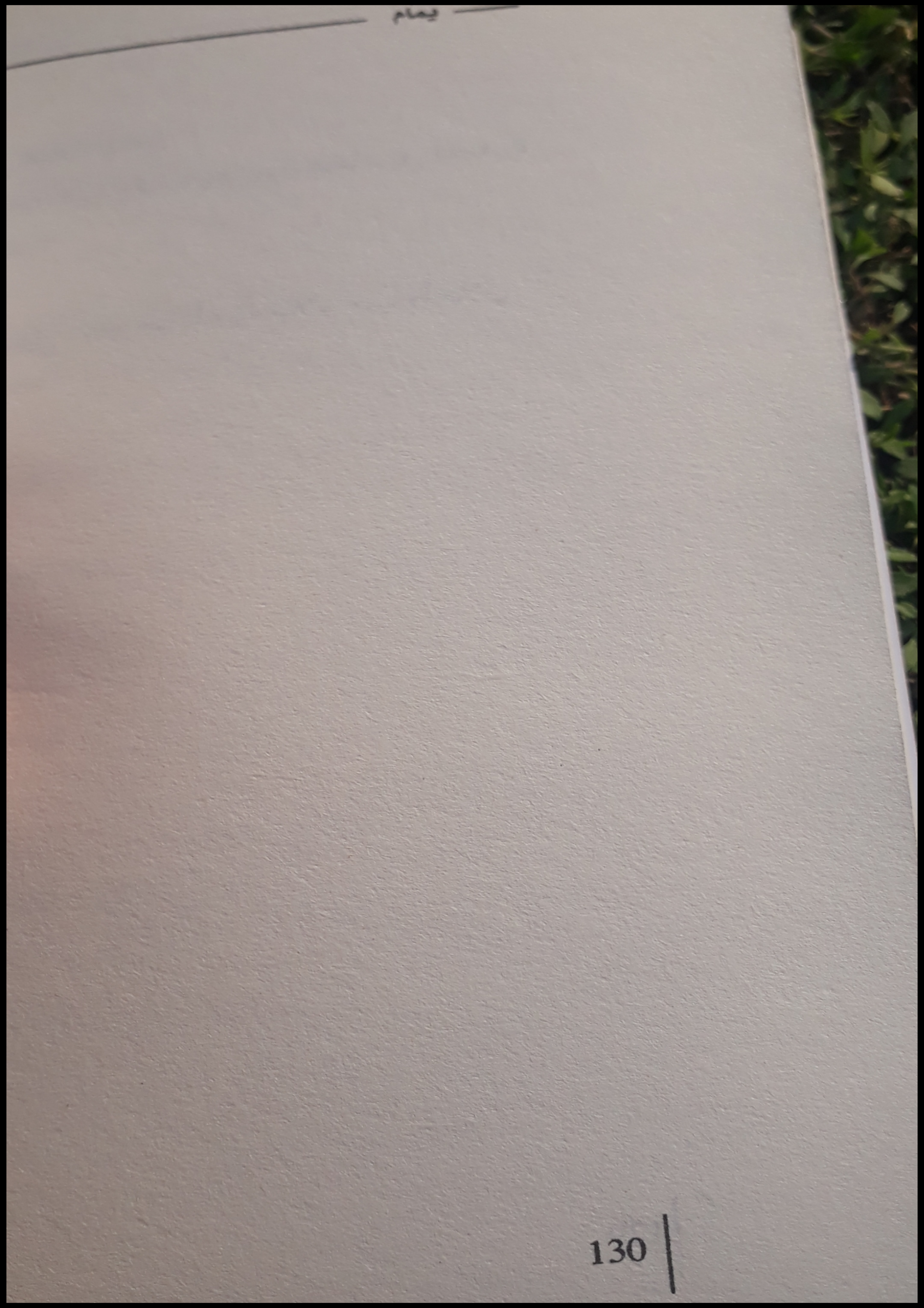
أضيفوا الحب إلى جفاف المناهج

علموهم كيف يزرعون الورد وكيف يحترمون التفاصيل الصغيرة

وكيف يعشقون الحياة

بإختصار،

درسوهم الحب النبيل . . خرجوا للحياة نبلاء حب وأخلاق



بالأبيض والأسود

(حكايات الأبيض والأسود كانت أجمل...
فالألوان أحياناً تشوهنا ولاتجملنا)

لطالما وددتُ أن أحـبك بالأبيض والأسـود . . وأن أقـاسمك حكاية حب بلا ألوان . . فالألوان لا تُجملنا دائماً . . وأحياناً تشوهنا

بينما حكايات الأبيض والأسود نقية كقلب طفل . . تفاصيلها دافئة كقلب أم . . . وطقوسها بيضاء كالثلج . .

لذا أريد أن أحبك بالأبيض والأسود فأخط لك رسالة ورقية لم ينل برد الإلكترونيات منها . . .

وأن أسكب عليها بعض عطري .وأن أطبع في نهايتها أحمر الشفاه . . . وأُلصق وريقات ورد جافة على أطرافها . . وأتستر . . وأتلفت . . وأحاذر . . وأنا أضعها في صندوق البريد الأزرق في آخر الطريق القديم المؤدي إلى البحر . .

أريد أن أحبك بالأبيض والأسود فأُسلل الهاتف ذو القرص الدائري إلى غرفتي سراً . . كي أحادثك حتى الفجر ، ونحتار من يغلق الهاتف أولاً . . ثم نعد بصوت واحد (واحد اثنان ثلاثة) و نغلق الهاتف معاً . . تماما كما فعل حليم مع بطلة فيلمه (الوسادة الخالية) . .

أريد أن أحبك بالأبيض والأسود . . فأقف متخفية أمام هاتف (شارع عمومي) أُلقمه الدراهم المعدنية . . كي أسرق من الوقت نبراتك . . فأمتلىء بنبرات صوتك وأنا صامتة إلى أن تنهي الاتصال غاضباً . . فأمضي وأنا منتشية بالصوت الحبيب من دون أن تدرك أ ن المتصل المشاغب كان (أنا) . .

أريد أن أحبك بالأبيض والأسود فأشاغبك بطيش مراهقة يكتشف قلبها عاطفة الحب للمرة الأولى . . فأضع سماعة الهاتف على آلة التسجيل . . وأدير رقم هاتفك . . . وأهديك أغنية كانت ذات يوم من أغنياتنا المفضلة ،كأغنية (لمني بشوق) أو (جبرني الشوق) أو (ردي الزيارة) . . .

أريد أن أحبك بالأبيض والأسود . . فأجلس معك على صخور الشاطيء الكبيرة . . وأنت تغني لي كما غنى حليم لحبيبته (بحلم بيك) . . أو أن تسير من أمام منزلي والأمطار تُغرق الطرقات وأنت تغني لي كلمات نزار(علمني حبك سيدتي أسوأ عادات) . . أريد أن أحبك بالأبيض والأسود فأجرب أحمر الشفاه للمرة الأولى . . وأجرب كحل العين الأسود للمرة الأولى . . وأجرب الكعب العالي للمرة الأولى . . وأطيل أظفاري للمرة الأولى . . فدائماً يقال إن الأنثى تبدو أجمل حين تكون في حالة حب . .

أريد أن أحبك بالأبيض والأسود . . فأكبر على مجلات الأطفال وحكايات الأطفال وقصص المكتبة الخضراء . . . وأتبادل مع رفيقاتي مجلات نسائية للكبار . . وأخفي في حقيبتي المدرسية روايات حب لإحسان عبدالقدوس . . وأشارك بنات الجيران في مواضيع خاصة تنهانا عنها الأمهات . . .

أريد أن أحبك بالأبيض والأسود . . فأحضر معك فيلماً سينمائياً لفاتن حمامة وعماد حمدي . . . ونجلس في الصف الأخير . . فكل العشاق في أفلام الأبيض والأسود كانوا يجلسون في الصف الأخير . . ربما لأن خلوة الحب في زمانهم كانت مقعدين عند الصف الأخير في ظلمة سينما . . بينما الآن يجاهرون بالمعاصي ويتفننون في أماكن خلواتهم . . .

أريد أن أحبك بالأبيض والأسود . . فأسير معك وقت الغروب على نهر النيل . . تشتري لي من غجرية عابرة طوق ياسمين . ونجلس فوق المقعد الخشبي القديم كي نأكل (اللبّ) و(الفول السوداني) ونضحك بطفولة والحياة حولنا حنونة كأم . . فأغلب العشاق على النيل كانوا أنقياء . . كانت أجمل أمانيهم (عش عصفور) و(حبة قمح)

وخذلتهم الأماني كثيراً . . . كما خذلتنا الحكايات الملونة . . فالحكايات حين تتلون تفقد من الدفء الكثير . .

وسخ دنيا

﴿الْمَالُ وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

المال تقدم البنون في الآية الكريمة . . .

فلاأعلم من الذي أطلق على المال (وسخ دنيا)

لكنه حتماً إنسان (مترف) لم تمتد يد الحرمان إليه يوماً . .

لتشعره بنعمة المال

وفاض ماله للدرجة الذي أصبح يراه به (وسخ دنيا)

فحتماً لم تختبره الحياة يوماً في قلة المال . . ولم تضعه في

مواقف يعرف بها أهمية نعمة المال . .

فلم تتشهى نفسه نعمة ما . . وبقيت مجرد شهوة لأن قلة ماله

عجزت عن تحقيقها

ولم تتسبب قلة المال فقدانه عزيزاً عجز عن السفر به أو توفير

الدواء المناسب له

ولم يضطر لخيانة الأمانة والتخلي عن مبادئه .لان طفله الوحيد

يحتاج المال لإجراء عملية عاجلة

ولم تدفعه حاجته لإهدار كرامته وطرق أبواب يدرك أنها لن تستقبل حاجته برحابة صدر

ولم يعتذر عن مناسبة عائلية سعيدة .. كي لا يدخل على أهل الدار بيد فارغة

ولم يضطر للعودة من منتصف طريق أحلامه لان ماله لا يكفي لاكتمال حلم جميل كالدراسة أو إكمال الدين

ولم يستمر في وظيفة يبغضها .. تستنزف جهده ووقته وصحته فقط لأن (أكل العيش مُر)

ولم يصبح همه بتعل جبل نتراكم الديون عليه ووارى وجهه خجلاً من ديونه

ولم يهجر الصحبة والأمكنة التي يحبها واعتادها .. هرباً من مواجهة أصحاب الديون

ولم تدفعه الحاجة للاستغناء عن مقتنيات يحبها وتحمل تفاصيله الجميلة لسداد ديونه

ولم يخجل أمام إمرأة يحبها لان ماله لايكفي لهدية تليق بها وبمشاعره النبيلة

ولم يتردد أمام أرفف الكتب كثيراً لاقتناء مؤلفات كاتبه المفضل لأن سعر الكتاب يكسر ميزانيته الشهرية

ولم يتذوق مرارة الغربة ووحدة الغربة وانكسار الغربة ووهن الغربة بحثاً عن المال لحياة كريمة

ولم يعجز أمام طلبات أطفاله في المناسبات الرسمية أو عند بداية العام الدراسي

ولم تكسره نظرات طفله في محلات الألعاب وعجزه عن شراء لعبة منتقاة

ولم يجرب الجلوس في الحر ولا السير في ليالي الشتاء الباردة طلباً للرزق

ولم يصبح همه بثقل الجبال عند كل مناسبة جميلة كالشهر الكريم والأفراح والأعياد

ولم يضطر أن يهدي الشمس صحته صيفاً لأن عمله تحت الشمس بينما يسترخي سواه في مكاتبهم الفخمة

ولم يلوح مودعاً لأنثى يحبها بصدق كي يوفر لها حياة كريمة بعيدة عنه .. لان الحب وحده لايكفي

ولم يتستر يوما للبحث في النفايات عن أشياء استغنى عنها أولئك الذين يعتبرون نعمة المال (وسخ دنيا)

ولم يضطر يوماً أن يصافح يداً يدرك مدى تلوثها لان مشاكله تنتهي بمصافحة تلك اليد

ولم يصاحب أرواحاً لاتتناسب مع شخصيته لانهم يمثلون له طريق العبور إلى أحلامه البسيطة

ولم يتألم وهو يؤدي دور (المهرج) لإضحاك أناس إن غضبوا عليه فَقد ما لا يستطيع إكمال حياته من دونه ..

،

عفوا

المال (زينة) الحياة وليس (وسخها)

وليس من الرومانسية أن يكون المال آخر اهتماماتك

وليس واقعياً ولا جفاف مشاعر ولا سوء تربية ان يكون المال من أهم أولوياتك

أنثى البقايا

(بعض الحكايات ندخلها بكامل نمونا..
ونغادرها بقايا)

أكبر خطأ اقترفته بحق نفسي في حكايتك
أني كنتُ أنثى تؤمن داخلياً بأن الأشياء التي تُكسر لا يمكن إصلاحها
ومع هذا كنتُ كلما كُسر بي أو حولي منك شيء
حاولت إصلاحه
فتحولت كل الأشياء حولي مع الوقت
إلى مجموعة أشياء تم إصلاحها بعد الكسر
عادت . . . لكن . . لم تعد كما كانت
فأصبحت كتحف فنية مشوهة لكثرة الشروخ
فبعض الأشياء رميها بعد الكسر . . أفضل من محاولة إصلاحها!
لكني كنت أحتفظ بالمكسور منك ولا أرميه ،
كنت كأي عاشقة مجنونة أحتفظ بكل البقايا والتفاصيل . .
كأنها أرثي من حكاية فاشلة
ولم أكن أعلم أن هذه البقايا قد تهدد يوماً سعادتي
أو أنها قد تتحول مع الوقت
إلى أشياء مؤلمة تعيق وصولي إلى الضفة الأخرى
حيث الفرصة الأخرى للحياة

،

لذا كنت أحرص عند غرق الحكاية أن أحمل معي أكبر قدر من البقايا

ورق . . خشب . . صور . . . رسائل . . رمزيات

نعم (ورق خشب رمزيات)

لم أكن أجيد انتقاء البقايا

فأنا لم أكن أنثى مادية

ولا للمال في أحلامي أهمية

فأبسط الأشياء منك كانت تفرحني

وأبسط الأشياء منك كانت تعادل لدي الكثيير الكثير

،

لذا . . كانت مقتنياتي منك عفوية جداً . . وبسيطة جداً

دفتر رسائل بنقوش رومانسية

أظرف رسائل ملونة

إسوارة من (الخرز) الملون

خاتم من الزجاج الشفاف

طوق ياسمين . . عقد فل مجفف

كتاب شعر لونت الأبيات التي لامست إحساسي بالأصفر (الفسفوري)

و(مصحف صغير) أهديته لي ذات سفر

أو كنزة شتائية كانت هدية حكاية دافئة

أو صحيفة قديمة احتفظت بها يوماً

كي أهديك منها قصاصة أعجبتني

أو أسطوانة غنائية قديمة رحل صاحبها وبقي في الوجود صوته

أو (مسجلة) صغيرة لطالما أخفيتها تحت وسادتي وغطاء سريري

حين كانت أمي تنهاني عن الأغاني قبل النوم

وعلاقة مفاتيح خشبية اقتنيتها لي من بائع متجول وفرحت بها كثيراً

لان أول حروف إسمي نُحت عليها

ربما وجدتها جاهزة ولم تكلف نفسك عناء طلب نحت الحرف من البائع

لكني يومها لم أكن أفكر بهذه الواقعية . .

،

فحين نكون في حالة حب . . كل الأفكار تكون جميلة

وكل الظنون تكون طيبة

حين نكون في حالة حب . . فنحن لانرى الجدران القاتمة

ولا نرى المساحات المظلمة ولا نرى الوجه الحقيقي لردود الأفعال

ولا الطريق المرعب أمامنا حين نكون في حالة حب نفسر الأشياء ببساطة مريحة

وبرومانسية تشرح قلوبنا
ففي الحب نرى بأعين قلوبنا . . والقلوب المُحبة لاتبصر الأشياء
بوضوح كامل
لذا لم ألمح صورتك بوضوح
كذلك الوضوح الذي لمحتها به
وأنت تصعد القطار الأخير على محطة الحكاية
تلك المحطة التي بقيت مهجورة بعد رحيلك لدرجة الوحشة .
لدرجة البرد
لدرجة البكاء لدرجة الرعب

،

هذه هي الحكايات ياسيدي
إ نها كالحياة
لاأحد يغادرها بخفي حنين
حتى حين نخرج منها وكفوفنا فارغة
نحن نكون قد حملنا منها الكثير / الكثير

الاختيار

(لاتثقوا بالحب كثيراً . . مهمها تكن قوّة قبضتكم عليه . . ففي مرحلة ما قد يترك الحب يدكم فارغة . . لبرد الطريق)

هناك مرحلة مرعبة من العمر

تتوتر فيها العلاقة بيننا وبين المرايا كثيراً

ويُداخلنا فيها الشعور بأنّ كل الأشياء فينا بدأت عدّها التنازلي

وبأننا في طريقنا نحو هبوط ما

وقد يدفعنا هذا الشعور إلى الانسلاخ منّا

هرباً من أحلام خَذَلتنا ووجوه ماعادت في المرايا تشبهنا

،

فنندفع إلى التفكير في الإقلاع إلى مدن

لم تكن ضمن خارطة أحلامنا يوماً

والى مصافحة وجوه كانت تمرُّ بنا في قمّة مَجدنا

دون أن نُلقي لها بالاً

لكننا فجاة وفي محطة يُخيّل إلينا أنها الأخيرة من العمر

نجدها كطَوق النّجاة أمامنا ولا نجد سواها

فنتعلق بها كفرصة أخيرة للحياة

ونُجيد دورنا معها

فعند الألم نحن نجيد التمثيل كثيراً

ونقنع بتصديقنا كل الأشياء إلا نحن

ففي داخلنا يبقى هناك صوت نحيب ما

يذكّرنا بأن مااخترناه لايشبهنا كثيراً

أو بالأصح مااختارَنا لا يشبهنا كثيراً

،

فعندما نبدأ رحلة الهبوط

نتنازل عن حق الاختيار

ونفقد الكثير من الثقة بنا

وتتحول أحلامنا إلى عدو ظالم

وننتقل من مرحلة (الاختيار) إلى مرحلة (الاضطرار)

وفي مرحلة الاضطرار لا ندقق في الأشياء كثيراً

لأننا نكون تحت وطأة نهاية ما

ربما نهاية حلم أو نهاية صحة أو نهاية شباب أو نهاية محطة أو

نهاية عمر

ولهذا ومن دون اختيار منّا

نسعى إلى الحصول على من (يختارُنا)

بعد أن نكون قد فشلنا في الحصول على مَن (نختارُهُم)

،

لهذا تلجأ أغلب النساء في مرحلة ما

الى البحث عن رجل يحبهنّ لا رجل يُحببنهُ

فالمراة في مرحلة النُّضج

تبحث عن رجل يمنح الحُب

أكثر من بحثها عن رجل يأخذ الحب

وتُصرح الكثير من النساء

بأن لاطاقة لديهم في أخر العمر
لخوض قصة حب شبيهة بقصص حب أول العمر
ففي أول العمر تحلم الأنثى برجل يقاسمها حكاية حب وورداً
أحمر . . وشموعاً ملونة . . وليالي دافئة
وتحتمل الكثير من الشوق
والكثير من الحنين
والكثير من البُكاء
والكثير من الألم

،

لكن مع تَقدُّم العمر
ومع تسرُّب وهَن الحب إلى قلوبنا وأجسادنا
وبعد أن نكون قد جرّبنا الحياة تحت عباءَة الحب
واكتشفنا خرق العباءة وثقوبها
نفقد قدرتنا على خوض حكاية لاتمنحنا سوى الحب
ففي هذه المرحلة تخفت الأنوار والألوان كثيراً
وكأنَّ شمساً ما في داخلنا في طريقها إلى الغروب
أو كأنَّ أحدهم مَدّ يده إلى مصابيحنا
وبدأ يُطفئها واحداً تلو الآخَر

،

وأصعب مافي هذه المرحلة هو أننا نضطر عند الاختيار إلى
التنازل عن أمور كثيرة وشروط كثيرة
كانت ذات عمر من أساسيات أحلامنا وحياتنا
لكننا نتنازل كمحاولَة متأخرة للسَّير مع اتّجاه الطوفان
بعد أن نكون قد قضينا أغلب العمر وأجمله في السير عكس
اتّجاه الطوفان
لكن نكتشف خديعة الحب
حين نلمح العمر غريقاً تحت بقايا الطوفان

،

إذن . .
لننتهز الفُرَص
ولنمارس حق (الاختيار)
مهما يكن (الخيار) صعباً
قبل أن ننتقل إلى مرحلة (الاضطرار)
حيث يكون الاختيار إجبارياً
وحيث تسقط من يدنا أشياء كثيرة
أولها حَقُّ الاختيار .

بينوكيو

(هم يختلفون عن (بينوكيو) ، فهم يكذبون ولاتطول أنوفهم ،ونحن نصدقهم لان أنوفهم عند الكذب لاتطول)

لعبة (بينوكيو) الخشبية

اقتنيتها اليوم من بائع متجول في شارع باسطنبول

كان يتحدث العربية بصعوبة . .

ويحاول جاهداً أن يشرح لي حكاية (بينوكيو) الذي كان حين يكذب يزداد أنفه طولاً

،

أشد مالفت انتباهي أنه يتحدث عن بينوكيو بحميمية . .

كأنه يتحدث عن أخ صغير أو رفيق طفولة . .

ربما طول عشرته لهذه الدُمى

وتكرار سرد حكايتها على العابرين زرعت بينه وبينها علاقة دافئة . .

فكان يسرد بحب

وكنتُ أنصتُ إليه بإهتمام

رغم معرفتي السابقة بتفاصيل الحكاية القديمة

لكني وددت أن أشعره بأهمية المعلومة التي ينقلها إليّ إذا ماعلم انه يمنحني معلومة جديدة

،

وبعد ان انتهى من سرد الحكاية سألته

لماذا لاتطول أنوفنا حين نكذب

فابتسم بصمت
وكأنه يسخر في داخله من متغيرات زمن باهت أصبح الكذب سمة من سمات أهله .
وشعرت ان ضجيج الكلمات كان يدوى فيه
لكن لغته المتواضعة كانت تعيقه في الشرح والتفسير لذا انتقى الصمت

،

ومن يعلم؟
لعل بعض التفاصيل القديمة استيقظت في ذاكرته
فتذكر حكاية كذب كان هو ضحيتها
أو حكاية حب كان هو بطلها
أو امرأة أحبته بصدق . . فتخلى عنها إثر كذبة ملونة ابتدعها
ولم يزدد أنفه بعدها طولاً
ربما كان كل ذلك . . . وربما لم يكن

،

لكني غادرته . . تاركة المكان للقادمين بعدي
ليقفوا أمامه وينصتوا لحكاياته المعتقة بالأساطير الجميلة التي عشقناها في طفولتنا
وشخصياتها التي كانت مجرد ورق

على البال

(البعض يغادر . . . لكنه لا يغيب أبداً)

ما هو البال؟ إنه تلك المساحه البيضاء من الذاكره التي نحتفظ فيها بكل رصيدنا من الوجود والذكريات والمواقف التي عشناها ذات زمن والحكايات التي مارسنا فيها ذات يوم دور البطوله

،

فالبال مدينة دافئه يتجول فيها كل الذين كانوا ذات يوم هنا يتقاسمون معك رغيف الحياه ويتنفسون معك أريج الأحلام ثم انتقلوا إلى الإقامه في أجندة الذاكره وتحولوا مع الأيام إلى بقايا وأطلال لكن رياح الحنين تأتي إليك بعطرهم كلما طرق الحنين أبواب بالك

،

هناك من يقيم في البال إقامة قصيره ثم يرحل بقاياه كعابر سبيل ولا يبقى خلفه في الذاكره حتى القشور وهناك من يقيم إقامة دائمة ويسري في عروق ذاكرتك كالدم وتبوء كل محاولاتك للتخلص منه ونسيانه بالفشل وربما تسبب مع مرور الوقت في ضياعك

،

فالبعض يأتي على بالك ليملأك بالألم ويفسد عليك متعة أوقاتك السعيده ويتفنن في اعادة تفاصيل حياتك أمامك

ليغرقك بالحنين الى اشياء مضت وانتهت
والبعض يأتي على بالك ليستعرض أمامك مساحة سذاجتك
وليدخلك في حالة من الندم على أشياء كانت وكان يجب أن
لا تكون

والبعض يأتي على بالك ليجعلك تكره نفسك حين تتذكر
أنك ذات يوم كنت تحبه وأنك ذات يوم حلمت به وأنك ذات
يوم كنت تتنفس وجوده وأنك ذات يوم كنت تعيش وتحيا من
أجله

والبعض يأتي على بالك ليؤكد لك عجزك عن نسيانه وعجزك
عن كراهيته وعجزك عن استبداله بآخر ويستعرض أمامك كل
محاولاتك الغبيه والفاشله لنسيانه

والبعض يأتي على بالك كي يمنحك لحظة فرح قصيره ويهب
قلبك الحزين سعادة مؤقته ويسقي جفافك بقطرات الفرح
ويجعلك تعيش لحظة فرح سريعه

والبعض يأتي على بالك ليملأك بالرعب لأنه يمثل ذلك الشطر
الأسود من ماضيك والذي تحاول جاهداً أن تنساه لأنه يهدد
حاضرك الجميل الذي تحرص على المحافظة عليه

والبعض يأتي على بالك ليقلق ضميرك ويعيد أحاسيسك الميتة إلى الحياه ويعكر صفو حياتك ويطاردك كوحش الليل ويصرخ في وجهك بصوت المظلوم ويذكرك بأنك ذات لحظة تجردت من انسانيتك وظلمته بلا رحمة

والبعض يأتي على بالك ليعلمك البكاء . . ويعلمك الحزن ويعلمك الانطواء ويسرق منك احساسك بالوجود ويفسد عليك احساسك بالآخرين

والبعض يأتي على بالك ليسرقك من عالمك . . ويأخذك اليه ثم يعيدك إليك بعد أن يجردك من فكرك وقدرتك على الوقوف من جديد

مودة ورحمة

(تتصلب الحياة أحياناً حَدّ الإنكسار. . . لولا المودّة والرَّحمة)

لاشيء يجمع بينهما سوى المودّة والرَّحمة
فبينما تقرأ هي رواية أدبية
يقرأ هو صحيفة الصباح
وبينما تشاهد هي فيلماً رومانسياً
يُشاهد هو نشرة الأخبار المسائية
وبينما تستمع هي لفيروز
يستمع هو لطلال مدّ اح
وبينما تقرأ هي لنزار وغادة
يقرأ هو للمتنبّي وأبوفراس
وبينما تعشق هي برد السفر
يعشق هو دفء المنزل
وبينما تحب هي الخروج ليلاً
يحب هو الخروج صباحاً
وبينما ترتاح هي في التسوق
يرتاح هو في الرياضة
وبينما تفضل هي (الشوكولا) يُفضّل هو (الآيس كريم)
وبينما تطلب هي (العصير)
يطلب هو (الشاي)
وبينما تُفضل هي (الإنفاق)
يُفضل هو (التوفير)
وبينما تصطحب هي روايتها لسريرها

يصطحب هو مجلته لسريره
وبينما تفضل هي المطاعم الهندية
يفضل هو المطاعم العربية
وبينما تشرب هي قهوتها مُحلاة بالسكرّ
يشرب هو قوته شديدة المرارة
وبينما تفضل هي اللون الأحمر
يفضل هو اللون الأبيض
وبينما اعتادت هي على النوم في الغرف شديدة البرودة
اعتاد هو النوم في الغرف متوسطة البرودة
وبينما أَدْمَنت هي (هاتفها)
أدْمَن هو (سيارته)
وبينما تؤمن هي بـ توقعات الأبراج
يؤمن هو بالغيب خيره وشرّه
وبينما تثرثر هي عند الغضب
يصمت هو عند الغضب
وبينما تفضل هي الجلوس في السينما
يفضل هو الجلوس في المسرح
وبينما تتذكر هي طفولتها بفرح
يتذكر هو طفولته بحزن
وبينما تفضل هي الهدايا القيمة
يفضل هو الهدايا الرمزية

وبينما تعبر هي عن مشاعرها بالقول
يعبر هو عن مشاعره بالفعل
وبينما تحدث هي صديقتها عنه ببرود
يحدث هو صديقه عنها باحترام
وبينما تحب هي التصوير بالهاتف
يحب هو التقاط الصور بالكاميرا
وبينما تعشق هي العطور القوية
يحب هو العطور الهادئة
وبينما تستخدم هي الكيبورد للكتابة
يستخدم هو قلم الحبر
وبينما تعجز من النوم في الظلام
يعجز هو من النوم في النور
وبينما تخاف هي من المرتفعات
يخاف هو من الأماكن المغلقة
وبينما اعتادت هي الإستحمام بالماء الساخن
اعتاد هو الإستحمام بالماء البارد
وبينما تفضل هي صابون الاستحمام السائل
يفضل هو صابون الاستحمام التقليدي
وبينما تعشق هي رحلات البحر
يعشق هو رحلات البر
وبينما تبكي هي عند سماع الأغاني
يبكي هو عند سماع القرآن

،

انها صورة تتكررّ في الكثير من المنازل
تلك المنازل التي ماتت فيها الكثير من المشاعر .
وبقيت . . . المودَّة والرَّحمة . .
و(المودّة والرّحمة) شعور لا يعرفه إلاّ أولئك الذين
أفلسوا من الكثير من المشاعر
وبقيت (المودَّة والرحمة) مُصاحبة لهم
كطوق نجاة . . قد لا يمنع أمواج المواقف عنهم . .
لكنه يَقِيهم من الغرق في أصعب مواقف الحياة . . ويمنحهم من
الأمان الكثير

أخبرني عنك

(أخبرني عنك . . فأنت منذ أن غبت عن عيني
لم أعد أقرأ تفاصيلك بك)

كيف هي أحلامك؟
هل مازالت مُعتقة برائحة الخيال؟
مُضمّخة بشوق اللقاء إلى نور الواقع؟
هل مازالت طرقاتها ملونة بلون الورد؟
هل مازالت منازلها مبنية من عجين المسك؟
هل مازالت أحلامك ملكاً لي وحدي؟

كيف هي رسائلك؟
هل مازلت تحرص على انتقاء أوراقها؟
هل مازالت أوراقها مليئة بكلمات الحب؟
هل مازالت حروفها رطبة بحبر الاشتياق؟
هل مازلت تمارس الكتابة باشتهاء؟
هل مازلت تمتلك هوية الترف إليّ؟

كيف هي أمانيك؟
هل مازالت على قيد الحلم؟
هل مازالت تضج بالأمل الجميل؟
هل مازلت تحرص على نموها؟
هل مازلت تحملها في داخلك كالقلب؟
هل مازلت تتفقدها عند كل هزيمة؟

كيف هي أحزانك؟
هل مازالت قريبة جداً منك؟
هل مازالت تلتصق كجلدك بك؟
هل مازالت تسكنك بكامل قواها؟
هل مازلت تحاول جاهداً الفرار منها؟
هل مازلت تتجول فوق ضفافها كلما رحلوا عنك؟

كيف هي سعادتك؟
هل مازالت غاضبة منك؟
هل مازالت تهجرك بلا سبب مُقنع؟
هل مازلت تبحث كالغريب عنها؟
هل مازلت تتقصّى خطواتها كالتائه؟
هل مازلت تتمنى أن تتلقي ذات عمر بها؟

كيف هي شهيتك؟
هل مازالت الأشياء تتشابه في عينيك؟
هل مازالت شهيتك مفقودة؟
هل مازلت لا تشعر بطعم الأشياء؟
هل مازال في داخلك إحساس بأنّ الحياة توقفت؟
وأنّ المرارة استوطنت كل الأشياء؟

كيف هو ليلك؟

هل مازلت تنتظره انتظار العشّاق؟

هل مازال صديقك المُقرَّب إليك؟

هل مازلت تسكب في أذنيه أسرارك الخاصة معي؟

هل مازلت تبوح إليه بي؟

هل مازلت تمارس بكاءك في ظلامه؟

كيف هو صباحك؟

هل مازال يأتيك بثقل الجبال؟

هل مازال يمضي ببطء كالمشلول؟

هل مازلت تقتله بكثرة النوم؟

هل مازلت تكره استق بال شمسه؟

هل ما زالت شمسه بلا دفء؟

كيف هو حنينك؟

هل مازال يتسلل كاللصوص إليك؟

هل مازال يتلاعب بمقاومتك؟

هل مازال يقلق نومك؟

هل مازال يشاغب كالطفل في ليلك؟

هل مازال يجرفك كالطوفان إليّ؟

كيف هو ذهولك؟
هل مازلت تعيش غيبوبة الفراق؟
هل مازلت حائراً كيف خذلنا الحلم؟
هل مازلت عاجزاً عن استيعاب كيف حل الرحيل؟
هل مازلت رافضاً واقعاً لا يحتوي حكايتنا؟
هل مازلت تحلم بأن تعود الذاكرة يوماً إلينا؟

كيف هي مقاومتك؟
هل مازلت تطارد النسيان؟
هل مازلت تغرس سهامك في وجه الحنين؟
هل ما زلت تغلق أبوابك في وجه رياح العودة؟
هل مازلت تفر من تفاصيلي بخوف؟
هل مازلت تقاوم ذكراي كالخطايا؟

كيف هو نسيانك؟
هل نجحت تجربة اكتشافه؟
هل اكتمل نموه؟
هل اشتدّ عوده؟
هل بنى أعشاشه في ذاكرته؟
هل نال مني بك؟

كيف هي ذاكرتك؟

هل مازلت تُخبئ تفاصيلي في أركانها؟

هل مازال عطري منثوراً بين زواياها؟

هل مازالت متضخمة بطقوس حكايتنا الجميلة؟

هل مازالت تحتفظ بتفاصيل أجمل أيام العمر؟

كيف هي كبرياؤك

هل مازالت تأخذك إلى أبعد مدن الغياب؟

هل مازالت تجرفك لى محطات لا أقف فوقها؟

هل مازالت تلتهم أطراف الحكاية كالنيران المشتعلة؟

هل مازالت تقف كالوحش بينك وبين خط العودة؟

هل مازالت تلسع كعقارب الصحارى بقاياي؟

كيف هو بكاؤك؟

هل مازال الطفل في داخلك يبكي بصمت؟

هل مازلت تستتر عند البكاء؟

هل مازلت تبكيني بحزن الغرباء؟

هل مازال الدمع يفضحك عند الحزن؟

هل مازال دمعك سخياً عند الحنين؟

طاهِراتُ الحبُ

(طاهرات الحب لايغـادرن ذاكـرة الرجـال
بسهـولة . . ويحـملن معهن عند الرحيل من
الاحترام الكثير)

حين اتخذت قرار المغادرة . . أرسلت إليه تقول

وحدهُنَّ طاهراتُ الحُبِ يُدركنَ أنه لا يُغني الحُبُ عن الإحترام

إلا لدى بناتِ الحكاياتِ الليلية

وقد حاولتُ قَدرَ إستطاعتي أنْ أدخلَكَ مِنْ أرقى أبوابِ التاريخ

وأنْ أزُفَّكَ إلى مدينةِ الحُبِ مِنْ بوابةِ العظماء

لكنكَ آثرتَ ألا تدخُلَ التاريخَ إلا مِنْ بوابةِ الجبابرةِ والطُغاة ،

وتدحرجَتْ مدينةُ الحُبِ كحجرٍ مُتصلبٍ تحت أقدامهن

سقطتُ وأسقطتُكَ مني ،

.

جُملةٌ إنهزاميةٌ مؤلمةٌ

دوَّنتُها في ورقةٍ صغيرةٍ وخبأتُها تحت وسادتي

أقرأها كُلَّ يوم قبلَ النوم

أسترجعُ تفاصيلَ سقوطِها فأزدادُ لكَ ولَهُنَّ كُرهاً وأنام

وأنا الأنثى التي

ما تمنيتُ الإحتفاظَ بحُبي لكَ

مقدارَ ما تمنيتُ الإحتفاظ بإحترامي لكَ

وشَهدتُ موتَ إحترامي لكَ بين يدي

كـأُم تُلَقنُ وحيدَها عباراتِ الـموتِ الأخيـرةِ
وتُغرقُهُ بدُموعِها وشهـيقِ زفرتِـها
هو يـموت
ويـموت
ويـموت
وهي تـحاولُ عبثاً وتـتـمنى بـرغـم عُمقِ إيـمـانـها
أنْ تـتحولَ إلى إلهٍ تَبُثُ فيه الـحياةَ
ثـم تعودُ إلى بشريـتِـها
تستغفرُ وتـتوبُ عن أمنيتِـها
ويغفرُ الله لنا الكثيـرَ مِنَ الأمنياتِ
فاللهُ وحدهُ العالـمُ بالنِياتِ

بعضُ الـمواقفِ تنتزعُهم مِنْ أعيُنـنا نـزعـاً
تستعرضُهم أمامنا عَرايا إلا مِنْ حقائقِهم
وتُفقدُهم الكـثيرَ مِنْ هيبَـتـهم التي بَـجّلناها
والكـثيرَ مِنْ إحترامِنا الذي كـان يستـرُهـم
ويبقى الـحُبُ عـارياً مِنَ الإحتـرام
كـفتـاةِ ليلٍ مُلَطخة بطيـنِ أحذيـتِـهم
تلتقطُ بقايا كـرامتِـها مِنْ غطاءِ أسرِتـهم
وتعودُ إلى نفسِها في آخرِ الليلِ

تفكرُ بالتراجُعِ فيُخيفُها رُكامُ ذنوبِها خلفَها فتبكي بحُرقة
وتتمنى الموتَ على ضِفةِ شارعٍ مهجور فلا تموت،
وتُعاودُ في الليلةِ المُقبلة
طقوسُ ليلتِها المدبرةِ الآثمة
وأمنيةُ الموتِ التي لا تتحقق.

،

صَدّقني لم أكنْ عاشقةً مثاليةً للدرجةِ التي تجعلُني أتصوَّفُ
وأنا معكَ
أو أترَهبَنُ في حُضورِكَ،
ففي الحُبِ لا نحتفظُ بالكثيرِ مِنَ المثالياتِ
ونتنازلُ عنِ الكثيرِ مِنَ الأخلاقِ
وربما نَخذلُ سنوات مِنَ التربيةِ والعِلمِ
ولهذا حاولتُ الإقترابَ منكَ كثيراً
وراودَتني رغبةُ المُغامرةِ معكَ
لكني كلما حاولتُ إصطدمتُ بشيءٍ كالجدارِ الصَلبِ
يقفُ بيني وبينكَ كالسَد المنيع يمنعُني ويحميني
كان ذلكَ الشيءُ دعاءَ والدي بظَهرِ الغيبِ لي
وإبتهالات والدتي في ظُلمةِ الليلِ.
كنتَ في نَظري رَجُلاً شديدَ الجاذبيةِ
فكان يكفيني أنْ أغمضَ عيني وأتخيلَ ملامحَكَ

كي أتحوّلَ إلى أنثى
لم أكنْ جَبلَ الثلجِ الذي ظَننتْ ولا دُميةَ الخشبِ التي إعتقدتْ
ولا الجُدرانَ الصَلبة التي لا تحركُها عاطفةٌ ولا يُزلزلُها شَوقٌ ولا يقتلعُها حُبٌ ،
لم أكنْ سوى إمراة مُتَلهفةً لرؤيتِكَ خارجَ أسوارِ الحُلمِ
إمراةً كلما تخيلتكَ معها إقشَعرَّ جَسدُها هيبةً ورَهبةً
ورددتْ باكيةً : اللهم إغنِني معه بحلالِكَ عن حَرامِكَ .
تُرى؟
هل إستوقفَتكَ كلمةُ معهُ في الجُملةِ السابقة
فالحلالُ مع سواكَ كانَ في شَرعِ قلبي بحُرمَةِ الحرامِ معكَ .

إكس أحمر

(البعض خروجه من حياتك، بمثابة حياة جديدة لك. فاضغط زرّ الحذف ولاتتردد)

لأننا لن نتواجد على هذه الأرض مرّة أخرى .
فنحن نستحق أن نعيش هذه المرّة بسلام داخلي وخارجي ،
نستحق ألاّ نقضي فرصتنا الوحيدة على الأرض بالقلق والظنون والتّرقب ومشاعر تؤدي بنفسياتنا إلى الهاوية !

لذا . . فنحن في حاجة إلى أن نُ عيد بناء محيطنا ،
وأن نُعيد انتقاء الأمكنة والرفاق والحكايات ،
فأغلبنا تُحيط به مجموعة من الأرواح والأشياء التي بالفعل قد استهلكت كل الفرص في محاولة إصلاحها أو تغييرها
لكنها بقيت على ماهي عليه ،
ووصلنا معها إلى مرحلة الـ (إكس) الأحمر وهي المرحلة التي نعلن من خلالها أن هذه الروح أو هذا الشيء لم يعد يمكننا الاحتفاظ به في حياتنا
أو بمعنى أصحّ لم نعد نود الاحتفاظ به
لأن وجوده يُسمّم نفسياتنا و يسبب لنا ضغوطاً نفسية فوق طاقتنا .

فأمسك ورقة بيضاء
واجعلها بدايتك البيضاء مع حياة أقل بأحزانها وهمومها ..
ودَون بها كل الأشياء التي حان الوقت ان تضع عليها (إكس أحمر

إكس أحمر
على أصحاب الأرواح المشحونة بالطاقات السلبية
أولئك الذين يُسمّمون علينا الصباحات الجميلة بسرد همومهم مع الحياة
وبثرثرتهم التي لاتنتهي عن أنفسهم ، وحياتهم ، ومشاكلهم العائلية المفتعلة

إكس أحمر
على أصحاب الأمزجة المشوهة
أولئك الذين يتعاملون معنا حسب مايمليه عليهم المزاج
فيدخلون حياتنا متى أرادوا ويخرجون متى أرادوا
ويعودون متى أرادوا العودة ،،
وكأننا ألعابهم الالكترونية التي يملكون مفاتيح تشغيلها ويتسلون بها حسب توقيتهم هم

إكس أحمر
على بقايا حكايات انتهت
وبقيت البقايا كعائق مُخيف يُعيق مواصلتنا للحياة بشكل طبيعي ..
تلك البقايا التي دفعنا وفاء قلوبنا للحكاية أن نحتفظ بها كإرث ثمين من علاقة تمنينا لها النجاح وفشلت

إكس أحمر
على المنافقين
أولئك الذين لاصديق لهم
تُقرّبهم المصلحة وتُبعدهم المصلحة
يجيدون أدوار الصداقة وأدوار الحب وأدوار الوفاء
وبحجم المصلحة تكون مهارة الدور ومدّة صلاحيته .

إكس أحمر
على أصحاب الأقنعة المتعددة
الذين يتجاوز عدد وجوههم أصابع أياديهم
ولديهم لكل مناسبة وجه
ولكل عاطفة قناع
لايتعبون من التمثيل ولا يخجلون من الخديعة ويتخذون من الغدر مع الوقت مهنة مربحة لهم ،

إكس أحمر
على أهل الحقد
أولئك الذين يضعونك تحت مجهرهم الخاص يحصون عليك أنفاسك ، ويعدّون خطواتك ويتتبّعون نِعم الله عليك ولا يهنأ لهم بال حتى تتجرد من أسباب استقرارك وسعادتك ، ويلمحون بك آثار زوال نعم الله عنك .

إكس أحمر
على الأماكن التي يؤلمنا المرور عليها
ويذكرنا المرور عليها بعمر أخضر احترق لأسباب عدة
وامتلأت أعيننا برماد احتراقه
فأصبحنا لانرى الجزء الآخر من الحياة
لأن إصرارنا على الاحتفاظ بالرماد الذي خلفته الحكاية القديمة
أعاقنا عن رؤية أشياء كثيرة على الأرض تستحق أن نراها .
وأن تكون لنا معها بداية جميلة

إكس أحمر
على أولئك الذين يحاولون السيطرة على شخصيتك وتغيير أفكارك ومفاهيمك وقيمك الجميلة ،
وتشويه مساحاتنا الداخلية بأفكارهم المتطرفة وبمعتقداتهم التي لاتمت للدين أو العادات أو القيم النبيلة بشيء

إكس أحمر

على الذين أرهقوك عاطفيا ،

أولئك الذين تركت لهم ورودك على عتاب أبوابهم ،

وسعيت أن تكون الأفضل والأجمل بأعينهم ،

ثم أدركت مساحة الوهم الممتدة بينك وبينهم ،

حين اكتشفت أنك كنت تؤدي البطولة أمام نفسك في حكاية من طرف واحد

إكس أحمر

على الذين تماديت بتضحياتك لهم أولئك الذين جعلتهم أمامك في كل طوابير العمر

فكنت تحزن كي تسعدهم وتنحني كي تطول قاماتهم

وتبرد كي تبثّهم الدفء وتتعرّى كي تسترهم وتتنحّى كي يصلوا إلى القمة

إكس أحمر

على المتضخّمين بالـ (أنا) أولئك الذين يعانون من جنون العظمة ،

الذين تسبق كلمة (أنا) كل عباراتهم ، فلايتحدثون إلا عن أنفسهم

ولا يصفقون إلا لإنجازاتهم

ولا يرون على الأرض سوى أنفسهم ،
يصعدون إلى أعلى قمة من الغرور ،
ولا ينقصهم سوى أن يصرخوا في العباد (أنا رَبكُمُ الأعْلَى) ،

إكس أحمر
على الذين يُعظمون ذنوبك
و يُغلقون أبواب التوبة في وجهك يصوّرون لك الدين كأنه
مقبرة في الدنيا
وجحيم في الآخرة ، ينصحونك بصوت فاضح ، ولاتتحدث
مسجاتهم إليك إلا عن الموت والقبر والفراق ، ويرددون عليك
دائما (أن الله شَدِيدُ الْعِقَاب)
ويتناسون أنه (غَفُور رَحِيم) ،

فتاة الغجر

(لم تكن تلك الفتاة الغجرية ، بضفائرها
الطويلة ، ووشمها الغريب ، إلاّ أمنية خضراء في
عمر أحضر)

لطالما حلمت بأن أكون فتاة غجريّة
تلك التي ترتدي غرائب الحلي . . تقرأ في كفوف العابرين
تنثر القواقع على قطعة قماش وتبيع الأحلام على أهل الترف
وتحلم بفارس أحلام يخرجها من ظلمات الغجر . .
يُخلصها من أكاذيب القواقع ، وخطوط اليد ،
وبقايا القهوة في فناجين الأمنيات ،
ويحولها إلى عاشقة مدلّله
ويزرع في ضفائرها الورد ، ويُطوّقها بالياسمين
ويراقصها على نبع ماء عذب

،

لكن فتاة الغجر بقيت مجرد أمنية لفتاة تعيش داخل أسوار المدينة . . .
وداخل أسوار العادات وداخل أسوار النضج . . وداخل أسوار الممنوعات . .
وأخفيتك في ظلمة النفس كحكاية محرمة ترتكب كخطيئة كبرى . .
فبعض الحكايات لا نغفرها لأنفسنا حتى لو غفرها الزمن لنا ،
وتبقي فينا ككتلة من ندم . . لا تنصهر ولا تذوب . . ولا نتطهر منها مهما حاولنا ،
وأنت تحولت مع العمر إلى كتلة الندم هذه!

،

وتحولت أنا مع الوقت إلى أميرة من عصور قديمة
حُبست إثر حكاية حُبّ غير متوافق في قلعة بعيدة . .
فكنتُ أحادث الطيور العابرة كي أبث الأمان في منفاي
وأبحث عن شعاع الشمس عبر نوافذي ، كي استشعر استمرار الحياة ،
لكن الخوف استعمرني من كل جهاتي ،فخفت بها من أشياء كثيرة ،
خفت من الظلمة في الليالي غير المقمرة ،ومن دبيب الخطوات على السلالم المهجورة ،
ومن أصوات الغرباء ومن ظلال الأشجار . . ومن أنفاس الحنين في الظلام!

،

فمرّت عليّ العصور تلو العصور وأنا سجينة تلك القلعة
تغير الزمان وتغيرت العادات . . وتغيرت الأفكار وتغيرت الشخصيات ،
ولم يتغير خوفي ،ولم أتخلص من تلك العُقد التي زرعتها بي حكايتك
فبعض العُقد التي تزرعها بنا المواقف ،تنتهي المواقف وتبقى هي ،

وأنت تحولت في داخلي مع الوقت إلى عقدة خوف اكتسبتها
ذات موقف مُحبط . . .

فأصبحت أخاف من أشياء لا تستدعي الخوف ، أخاف من
الحب وأخاف من الفقد

أخاف من التعلق وأخاف من الإعتياد ، وأخاف من الخذلان ،
وأخاف من الفراق ، وأخاف حتى من الفرح

،

وكنت في قلعتي البعيدة أتدرّب على الطيران كل ليلة ،
بأجنحة ليست وهمية ،

وبدمية ليست قماشية . . وبطفلة دافئة الجسد بأنفاس
حقيقية .

وبفارس يمارس البطولة خارج الروايات وخارج القصص العاطفية
لكن أجنحتي لم تكن كافية للطيران إليك ،
لهذا كنت أطير وأقع . . أطير وأقع . . أطير وأقع
ولا أصل إليك أبدا

الفارس الملثم

(الفــارس الملثم في وطن آمن . . . هو خــائن
ملثم)

شوهوا في خيالنا الكثير من الصور والشخصيات التي حرصنا
على بقائها جميلة . . بعيدة عن أوهامهم وإرهابهم
وتمنينا ألا تصل شرورهم إليها يوماً
لكنها وصلت . . ونالت . . وشوهت
فالفارس الملثم الذي أحببناه وقدرناه في طفولتنا
وكان لنا رمزاً للوفاء والإنسانية وحب الوطن

،

كبرنا لنرى لثامه يغطي وجوهاً مدنسة بالشر وترويع الآمنين
وخيانة الأوطان الآمنة
ويستتر خلفه بشر لايمت للدين ولا للوطنية بصلة
ومع الوقت مسحوا من ذاكرتنا صورة فارس حكايتنا الملثم
الذي طالما صفقنا له في طفولتنا ببراءة!

،

فالفارس الملثم . . . شخصية أحببناها من خلال حكايات
جداتنا
وقرأناها في الكتب الأدبية . . وشاهدناها في الكثير من
الأعمال الفنية فكبرنا ونحن نحب شخصية (الفارس الملثم)
ذلك الشهم الذي يغامر كي يحمي وطنه
ويغامر كي ينشر الخير . . . ويغامر كي تخضر الأرض

ويغامر كي يموت الظلم . . . ويغامر كي يسعد فقراء الأرض
فأحببناه جداً . . . وتأثرنا به جداً . . . وقلدناه جداً

،

فكنا في طفولتنا نمارس دوره في ألعابنا
نغطي وجوهنا . . . نمسك السيف الخشبي ونختبىء خلف الأشجار . . . . ثم نهاجم الأشرار
نعم الأشرار . . . . فهكذا كان يفعل الفارس الملثم في حكايات جداتنا . . .
وهكذا كنا نقرأ في الكتب . . . ونشاهد في مسلسلات الأطفال .
كالفارس الملثم الذي كنا نتابعه من خلال مسلسل (الغرباء) وكنا نغني معه (كانت مدينتنا ذهب . . ومن يوم ماحكم الغريب . . الشر على الأرض انتشر)
لكن مدينتنا مازالت ذهباً . . . ولم يحكمنا الغرباء . . . ولم ينتشر الشر في أوطاننا الآمنة

،

فما حاجتنا لفارس ملثم ؟
حيث وطننا أخضر . . . وأرضنا خضراء . . وقلوبنا خضراء؟

ماحاجتنا لفارس ملثم . . . ونحن نحمل أورق رسمية تنسبنا إلى وطن رائع

ماحاجتنا لفارس ملثم . . . حيث نعيش بأمان . . . وننام بأمان . . . ونستيقظ بأمان . . ونأكل بآمان . . ونتجول بأمان . . . ونعمل بأمان . . !

،

فالفارس الملثم في وطن آمن هو (خائن) ملثم
وإن اختلف اللثام باختلاف الأزمان .
فالأسماء المستعارة هي (لثام) والحسابات الوهمية هي (لثام)
والإساءة إلى الأوطان من خارج حدودها هي لثام . . .
وكل من يستغل هذا اللثام كي يستتر خلفه ويمارس الشر بحرية
هو مجرد خائن ملثم
كل من يستغل هذا اللثام . . كي يكتب مايثير الفتنة بين المسلمين هو خائن ملثم
كل من يستغل هذا اللثام . . كي يستترَ في الظلمة
ويحيك المكائد لتدمير الأبرياء وتشويه الدين . . . هو خائن ملثم
كل من يستغل هذا اللثام . . . كي يستتر بعيداً . . ويحرك ألعابه بريموت كونترول هو . . . خائن ملثم!

،

فاعشقوا أوطانكم . . . لاتغادروها بحثاً عن وهم الحرية . . . . .

فالحياة بلا وطن عبودية

أوراق من رواية

(ليست القضية متى يأتي . . القضية هل يبقى حين يأتي ؟؟)

التقته وهي في الأربعين من عمرها
في وقت ظنت أنها فقدت قدرتها على الحب
والحلم والأمل وأشياء أُخرى تحتاج إليها المرأة في منتصف العمر
وبعد أن ذاقت من الأشياء أمرها
وبعد أن مرت بظروف حملتها من الألم فوق طاقتها
وبعد أن اتسعت الفجوة بينها وبين الفرح
وأصبحت السعادة من مستحيلات حياتها

،

عندها جاء هو بقلبه الكبير وببحور حنانه الباحثة عن أُنثى
تكون نصف قلبه الآخر
اقترب منها كالأحلام الهادئة
عشقها بصدق فرسان الحكايات القديمة
وطرق بابها في أشد مراحل عمرها ظلمة ليمنحها باقة من النور
لم يكن آخر أطواق النجاة بالنسبة إليها
بل كان الشاطئ والقبطان والسفينة

،

غيرها تماماً نسفها داخلياً وخارجياً
لون كل المساحات السوداء في داخلها
فتعلقت به تعلق الأم بطفلها وتعلق الأنثي بفارسها

وتعلق الإنسان بوطنه
وشعرت معه بأمان لم تشعر به طيلة سنواتها

،

اقترب من أعماقها أكثر ملأ إحساسها كالدم وملأ حياتها كالهواء
كانت تنام على وعوده
وتستيقظ على صوته
تمادت معه بأحلامها
منحت نفسها حق الحلم كسواها
حلمت بأطفال بعدد نجوم السماء
وبليلة من العمر تجمعهما في جنة فوق الأرض تعيش فيها معه

،

كان رجلاً رومانسياً شفافاً
بادلها أحلامها بنقاء
لم تكن بالنسبة إليه حكاية يسعى إلي إنهاء دوره فيها
ولم يكتبها رقماً في أجندته
ولم يسجلها رقماً قابلاً للانتهاء
كانت شيئاً آخر إحساساً مختلفا
وامرأة لا يمكن تصور حياته بدونها

،

اعتادت وجوده في حياتها تماماً كما اعتاد هو وجودها في عالمه

كان إحساسهما طاهراً نقياً

لم تدنسه مواعيد الغرام ولم تلوثه اللقاءات المحرمة

كان يصونها كعرضه وكانت تحفظه كعينيها

،

سألها يوماً : ماذا لو خنتُ ؟

قالت : سأقتلك

قال : ماذا لو مت ؟

قالت : ستقتلني

عندها أدرك أنها امرأة ترفض الحياة بغير وجوده

فتمسك بحياته أكثر وتمنى أن يعيش إلى الأبد

كي يجنبها ألم فقدانه وفجيعة رحيله

،

منذ أن عرفته وهي تعشق المساء جداً

ففي المساء يأتي صوته حاملاً لها فرح العالم كله

ويُعيدها رنين هاتفه إلى الحياة التي تفارقها حين يفارقها

وما أن ترفع سماعة الهاتف حتى يبادرها متسائلاً :

«من تحبين أكثر ؟ أنا ؟ أم أنا ؟

فتجيبه بطفولة امرأة عاشقة أحبك أنت أكثر من أنت»
ثم يتجولان معاً في حالم من الأحلام

،

وهذا المساء انتظرت صوته كالعادة
ومرت الدقائق وتلتها الساعات
شيئ ما في قلبها بدأ يشتعل
شيئ ما تتجاهل صوته لكنه يلح
شيئ ما يصرخ فيها إنه لن يعود
وشئ ما يوقظ في داخلها كل شكوك الأنثى في لحظة الانتظار
تري هل نسى؟ هل خان؟ هل رحل؟
ومع أول إشعاع نور للصباح حادثها أحدهم ليخبرها بضرورة
وجودها في المستشفى
لأن أحدهم يصر علي رؤيتها قبل دخوله غرفة العمليات

،

وهناك التقته باسماً في وجهها كعادته برغم الألم
قال لها سامحيني . . أعلم أن رحيلي سيسرق منك كل شئ
وأعلم مساحة الرعب التي سيخلفها رحيلي في داخلك
وأعلم أن لا شئ سيملأ الفراغ خلفي
وأعلم كم ستقتلك البقايا

وأعلم كم ستكسرك الذكرى
وأعلم تحت أي مقاصل العذاب ستغفين
وأعلم كم ستبكين وكيف ستبكين
ومضى إلى مصير يجهله
كانت رائحة الوداع تملأ حديثه
ولكنها تعلقت بآخر قشة للأمل
وانتظرت انتظرت انتظرت
وكانت تردد بينها وبين نفسها
ماذا لو أنه رحل؟ ماذا سيكون لون حياتها؟
بل ماذا سيتبقي من حياتها ؟
لم تحتمل ثقل سؤالها . فجسلت فوق الأرض
ما عادت قدماها تقويان على حملها
استندت إلى الجدار في انتظار حكم الحياة عليها ومن بعيد
لمحته يأتي يتقدم نحوها
إنه الطبيب الذى أجرى له العملية
تمنت أن يقف مكانه أن لا يتقدم أكثر
أن لا يفتح فمه بنبأ رحيله
دقات قلبها تزداد أنفاسها تتصاعد ترى . . هل رحل؟
أغمضت عينيها ووضعت يديها على أذنيها لا تريد أن تسمع . .
لا تملك القدرة على أن تسمع نبأ كهذا النبأ

•

لا أحد يعلم كم من الوقت قد مر قبل أن يصلها الطبيب
ربما لحظات وربما سنوات
لكنه أخيراً وصل وقف أمامها باسماً . . قائلاً :
كُتب له عمر جديد سيدتي نجحت العملية وسيعيش
وانتظر أن ينطلق منها صوت الفرح
لكنها لم تنطق ولن تنطق أبداً
لقد رحلت . .
قتلها الانتظار والخوف والترقب

•

عفواً . .
إنها امرأة وصلت بتعلقها به إلى درجة رفض الحياة في غيابه
هل توجد مثل هذه المرأة الآن ؟
هل يوجد مثل هذا الرجل الآن ؟ تُرى؟ من قتل مَنْ

توت.. توت

(قد يكون العمر مجموعة من القطارات . . لا خط رجعة لها)

توت توت توت . .

ها هو قطار الفراق يعلن استقراره في محطة حكايتنا

وهاأنت تحمل حقائب الأحلام والأيام وتتجه نحو الغياب

وهاأنا ذا أستعد للوقوف بظهر مكسور وهامة مجروحة

لأُلوِّح لك بشموخ هادئ وهدوء شامخ؟وكأن الأمر لا يعنيني

وكأن الألم ليس ألمي

وكأن الجرح ليس جرحي

وكأن الهزيمة ليست هزيمتي

وكأن الحكاية الميتة لم تكن يوماً حكايتي

'

عفواً . .

هل بالفعل تموت الحكايا؟

وحين تموت أين يذهب الأبطال؟

وأين تذهب الأحاسيس؟ وماذا يكون مصير الأحلام؟

وإلى أين يلجأ أطفال الحكاية؟

فـ لمعظم حكايات الحب أطفال

أطفال نعجنهم بماء الخيال

ونرسمهم على صفحة قلوبنا

نمنحهم ملامحنا وننتقي لهم أسماء مشتقة من أحلامنا

ونحبّهم جداً . . وننتظرهم بفارغ العشق والأمل

،

ننتظرهم . . نعم

لكن انتظارنا لهم يطول ويطول ويطول

فعلى الرغم من إحساسنا بهم وعلى الرغم من حبنا الصادق لهم

وعلى الرغم من شعورنا بحركاتهم في أحشاء الحلم

إلاّ أننـــا لا نلدهـــم أبـــداً

ربمـــا لأننا حملنا بهم خارج رحم الواقع

،

ولهـــذا . . نخزنهم في الدفاتر بعيداً عن فضول الواقع

نُسجلهم في ذاكرتنا كأي حدث من أحداث الحكاية

فإذا ما عاشت الحكاية كبر الصغار بها

وإذا ماتت الحكاية وُئد بها الصغار

واسألوا نساء الأرض العاشقات عن أطفالهنّ النائمين في دفاتر الخيال

أو افتحوا دفاتر الحكايات الفاشلة

وأحصوا عدد أطفال الدفاتر فيها

،

وسؤال آخر:

لماذا حين تنتهي الحكاية ونُهمل كل أوراقها وطقوسها وذكرياتها

لا نفكر سوى في كيفية احتمال الألم الناتج عنها

ونعلن الحداد؟ فلا نرى من الحياة سوى سوادها

ولا نتذكر من الحكاية سوى ركنها المظلم

ونهيئ أنفسنا للحزن والألم والندم والبكاء

على الرغم من أنّ مرحلة ما بعد الفراق قد تكون مرحلة أُخرى

أجمل وأصدق

إذا نحنُ أردنا ذلك؟

،

ماذا يأتي بعد الفراق؟

أشياء كثيرة تأتي بعد الفراق يهاجمنا الفراغ كسماء بلا نهاية

يحاصرنا الحنين كوحش مفترس

تنغرس فينا البقايا كأسنَّة السيوف

تمزقنا الذكريات كأنياب حيوان جائع

ونرفض المكان ونهرب من الزمان ونطرق كل أبواب النسيان

،

ونفشل .. نعم نفشل ..
فتجربة النسيان لا تقل صعوبة عن تجارب الاختراعات العلمية
ولأن الإحساس الذي كان في داخلنا كان صادقاً
ولأنّ الأحلام التي عاشت فينا كانت رائعة
ولأنّ أمانينا التي غرسناها في أرض الحكاية كانت نقيّة
ولأنّ الحكاية كانت وسيلة من وسائل اتصالنا بالوجود
ولأننا كنا الطرف الأكثر شفافية في الحكاية فإننا نفشل ..
وبجدارة

،

لكن .. لو اعتبرنا الحكاية مجرّد مرحلة من مراحل العمر
وليست العمر كله لوجدنا أمامنا متّسعاً من الوقت للوقوف من جديد
والزحف نحو مرحلة جديدة من مراحل العمر
لأنّ العمر هو المراحل والحكاية مجرد مرحلة من هذه المراحل
فإذا ما انتهت تلتها مرحلة أُخرى
نحن فقط القادرون على جعلها أحلى ، أو .. أمرّ

،

فإن كنت من أولئك الذين يتألمون
وتجد صعوبة في الخروج من سياج حكاية فاشلة
فأحضر ورقة وقلماً واكتب أحاسيسك المؤلمة عليها وقم بترقيمها
ولا تحزن حتى لو جاوز عددها الألف
وعاهد نفسك على أن تتخلّص منها بالترتيب
وحاول محاولات جادّة وصادقة
واشطب كل إحساس تتمكّن من التخلُّص منه
وحين تصل إلى الرقم الأخير ستجد أنك قد تخلصت من كل
أحاسيسك المزعجة
وأن الحكاية كانت أصغر من حجم إحساسك بها
من بين كل الحكايات هناك حكاية واحدة فقط . .
هي حكاية العمر كله
إنها تلك الحكاية التي تمسح كل الحكايات . .
وتبقى هي فقط بطقوسها وشخوصها
وهي حكاية لا تموت فيك أبداً

هُنا

(هُنا بُقعَةٌ لا تحويها خارطةٌ جُغرافية)

أقفُ هُنا

ولاأعـلـمُ إلى أي مَرحلةٍ مِنْ مراحلِ الـحُزنِ تُشيرُ كلمة هُنا

أو إلى أي بُقعَةٍ مِنْ بـقـاعِ العُمرِ يؤدي تَـتَبُّع سَهمِها

لكني أعـلـمُ جـيـداً أنَّ (هُنا) هـي مَـرحلـةٌ مُـرهـقـةٌ جـداً مِنَ الشُعورِ

بُـقعةٌ مُتوغـلـةٌ في الـحُزنِ حَدَّ السوادِ

وإنـي أتـجـولُ الآن بين طرقـاتِ هذه الـمـرحلـةِ كـمُـحـاربٍ مـهزوم

يُغـادرُ وَطنَهُ بإتـجاهِ غُـربةٍ ما ويـمـضي مُـتَعرقلاً بآخِرِ بـقـايـا الأمان

وآخِرِ بـقـايـا الكرامةِ وآخِرِ بـقايا الـحكـايةِ وآخِرِ بـقـايـا الوطنِ

ووجوهُ زَيفِ أصـحابُـها تاريخُ الـحكـايةِ

فتساقطتْ أمامَهُ كـالـثـمـارِ الفاسدةِ وجوههمْ .

وأنا أكتبُ الآن كلمة (هُنا) وأُشيـرُ إلى مُنتصفِ قلبي تـمـامـاً

حيث كانتْ تُـقيـمُ قبيلـةٌ مِنَ الصُحبةِ وَالأحبةِ والرفاقْ

وغـادرَ كُـلُّ منـهُـمْ بـحكـايةٍ مُـختلفة

فـبقـيتْ خَلفَـهم الـحكـاياتُ كـالـمنازلِ الـمـهـجـورةِ مُلونةَ الـجدرانِ بـألوانِ مواقفِهِمْ

حتى تَـحوَّلَ داخـلـي إلى مدينةٍ مِنَ الـحكـايات

لكُـل حكـايةٍ لونٌ مـخـتلفٌ وحُـزنٌ مُـخـتلفٌ وألـمٌ مـخـتلفٌ

وذكرى مختلفة ،
فحكاياتٌ أحرصُ على ترميمِها وتجديدِ طلائَها
وأخرى أنتظرُ إنهيارَ آخرِ بقاياها لأقذفَ بها مني ،
لأنَّ الحياةَ أقصرُ مِن الجلوسِ على أطلالِ حكايةٍ حُزنِها
طويلاً لأمدْ .

لهذا لم أتَعلَّق في الحياةِ يوماً
كنتُ دائماً أتعاملُ مع الحياةِ على أنني عابرةُ سبيلٍ
فكنتُ أحاولُ قَدرَ إستطاعتي ألا ألتصقَ بأمكنَتِها أو
تفاصيلِها
إلى الحَد الذي يُرهقُني التفكيرُ فيه بوداع ما إلتصقتُ به
أو الحَد الذي يجعلُني أحبو وَهناً وأنا أودعُ أحدَهُمْ
لكن الحياةَ تَعلَّقتْ بي ،
تَعلَّقتْ بي للدرجةِ التي يتحوَّلُ فيها الموتُ لدى البَعضِ
إلى أمنيةٍ مُشتهاة
كالأماني المُستحيلة التي نقضي عُمرَنا في طهوِها وإشتهائِها
ولا نتناولُها أبداً

فبعضُ الأماني نُربيها كطِفلٍ مُشوَّهٍ
ونحتفظُ بها مُعلَّبةً ونتجاهلُ تاريخَ صلاحيتها قَدرَ
إستطاعتنا

لأنهُ لدينا قابليةٌ تامةٌ لتناولَها حتى حين تأتي بَعدَ الأوانِ وبَعدَ الصلاحية ،

فهناكَ مَنْ يَتحوّلُ الموتُ في داخلِهم إلى أمنيةٍ رائعة

لأنَّ الموتَ صديقٌ حميمٌ وأمنيةٌ دافئةٌ لأولئكَ الذين ينتظرونَهُ بشَغف

أولئكَ الذين يَزُفّونَ أنفسَهُمْ للموتِ بلا تَرددٍ

ولا يصل إلى هذهِ المرحلةِ مِنَ الموتِ إلا أشخاصٍ خذلتهمْ الحياةُ

لدرجةِ النُفورِ منها والشُعورِ بالغُربةِ فيها

أو أرواحٌ لمحَتْ وجهَ الحياةِ الحقيقي وهي مُستيقظةً مِنَ النوم ،

الوجهَ الذي يخلو مِنَ الرْتوشِ والمساحيقِ

الوجهَ الذي يُشعرُكِ كم هي دُنيا هذهِ الدنيا .

فهناكَ أمورٌ تنجحُ في إيقافِ الحياةِ في قلوبنا وأعيُننا

وقمةُ الألمِ أنْ تتوقفَ الحياةُ بكَ وأنتَ ما زلتَ تحتفظُ بأنفاسكَ

وما زال إسمُكَ مُذيَّلاً في قائمةِ الأحياءِ

ولم يَشعُر بموتِكَ ومُغادرتِكَ لها إلا أنت ،

فحتى جسدُكَ يخذلُكَ

لأنهُ يستمرُ مُحتفظاً بقوتهِ وقُدرتهِ على الحركةِ أمامَهم
في الوقتِ الذي تشعرُ فيه أنتَ برغبتِك وحاجتِكَ لمكانٍ ما
أو بُقعةً ما أو صندوق ما
تُخبئُ فيه جسدَكَ وحُزنَكَ ووَهنَكَ
وتُغمضُ لتسافرَ بإتجاهِ حَياةٍ تَتمناها
والبعض يتحول مع الوقتِ إلى ورقةٍ مِنْ كتابِ العُمرِ
قد نقضي العُمرَ كُلَّهُ نقرأ في هذه الورقةِ
وقد لانعودَ إليها بَعد الإنتقالِ إلى الصَفحةِ التالية
وقد نَتفَقدُها في لحظاتِ الحنينِ ونُعاودُ هجرانَها عند إنطفائه
وقد نبكي عند التَجولِ بين سطورِها وقد نضحكُ ،
لكن الحياةَ تستمرُ
فعَجلةُ الحياةِ لا تُعرقلَها بقايا حكايةٍ أو دوامةِ حُزنٍ
مهما بَلغتْ قوةُ الحكايةِ أو شِدةُ الحزنِ
فنبكي والحياةُ تضحكُ
ونموتُ والحياةُ تستمرُ .

رسالة ورقية

(ذات يوم كان الورق صديق العشاق المخلص)

ما أتفه أحزاننا العظيمة حين نكبر.. ونلتفت إليها كي نراها من بعيد
فنكتشف أن الجرح العظيم الذي أبكانا يوماً
لم يكن سوى لعبة هشة مارسناها في مرحلة مبكرة من الحلم والعمر وأن الفراق الذي أحزننا يوماً لدرجة اعتزال الحياة
لم يكن سوى تجربة أولى في السقوط علمتنا من الدروس الكثير
وأن الحلم الأخضر الذي ظنناه يوماً حلم العمر
لم يكن سوى سراب مخادع على طريق حكاية مؤقتة
وأن الحكايات المؤقتة حين نبتعد عنها تتضاءل كثيراً
وحين نكبر عليها تصغر
وهكذا أحسستك حين كبرت
وهكذا رأيتك حين التفت خلفي
فضحكت كثيراً في الوقت الذي ظننت أنني سأبكي به كثيراً

،

ربما لأنني لم أتخلص منك مرغمة..
لا حال بيني وبينك دين، ولا عادات، ولا قبيلة ولا وطن
فأنا فارقتك بكامل إرادتي
ووقفت على محطتك الأخيرة بكامل قناعتي
ولوحت لك بهدوء مودع مطمئن القلب والروح

لاكرهت الحكاية ، ولاندمت على التفاصيل
لهذا لم أعان كثيراً في الوصول إلى مرحلة النسيان
ولا عانيت في مواجهة البقايا بعدك
ولا بكيت على وسادتي وحيدة كما يفعل العشاق
ولا بحثت عنك في الزحام كما يفعل المفارق
ولامررت بديارك متخفية ،ولا أخذتني أغنية حزينة إليك!

،

فأنت انسكبت كالماء من قربة أيامي
وسقطت بمرور الوقت من قائمة اهتماماتي
وضاقت مساحات التفكير بك كثيراً
وتقلصت مساحات التوتر في داخلي
وتحررت من قيود حكاية استعمرتني بعض العمر
وكأنك لم تكن يوماً أكبر أحلامي وأعظم همومي فلم تعد ذلك
الهم الكبير الذي كان يقلق نومي ..

،

وأنا التي ظننت أن فراقك سيبقى أكبر هزائمي وأن فقدانك
سيحافظ على مركزه الأول في قائمة خسائري
وأنك ستبقى في مقدمة أحلامي وأمنياتي المنتظرة
وأن طيفك سيلاحقني في كل الأحلام وكل الأمنيات

لكنني كلما كبرت كلما ازدادت كمية الضباب حولك
حتى تحولت أنت مع الوقت إلى مدينة من الضباب
كتلك المدن التي كنا نراها في مسلسلاتنا الكرتونية
ربما لأنه أصبحت في حياتي أحزان أكبر من حزن رحيلك
وأعظم من تفاهة البكاء على باب حكاية مختومة بالفشل
أو خلف قافلة رجل غادر دون أن يلتفت كي يقول للتفاصيل الأخيرة وداعاً

،

فمن أين كان لي أن أعلم أن الحياة أحياناً تمنحنا الأحزان تصاعدياً . .
فتبدأ بالأصغر منها إلى أكبرها
وأن حزن فراقك هو أول عدها التصاعدي
وأنك الرقم الأصغر في عداد أحزاني
فماذا كان سيعادل حزن رحيلك أمام حزني وأنا بجانب رفات جدتي . .
أبحر في ملامحها باتجاه طفولتي . .
وأغمض عيني أمام جسدها البارد فأتذكر الماء والتراب والجدران والمطر

،

ماذا كان سيعادل حزن رحيلك أمام رعبي؟ وأنا أستيقظ على
صوت الإسعاف جاءت لتمضي بجدي
أتعلم ماذا يعني رحيل الجد ؟
وأي صفحة تطوى برحيله من العمر ؟
إنها صفحة الطفولة
صفحة البياض والبراءة والحكايات الدافئة والأمان

،

ماذا كان سيعادل حزن رحيلك امام ارتعاشة الوجع التي سرت
بي
وأنا أقرأ نبأ رحيل عمي عبر مسج في هاتف محمول
أتدرك أي قشعريرة حزن تسري في أجسادنا حين نقرأ نعي عزيز
على غفلة؟
ماذا كان سيعادل حزن رحيلك أمام وحشة غياب خالي من
الطرقات
تلك الطرقات التي طالما صادفته عليها وأنا طفلة ملطخة بتراب
الطريق

،
ماذا كان سيعادل حزن رحيلك أمام حزن الأربعاء وبكاء الأربعاء وذهول الأربعاء؟
وعودتي إلى منزلي ذات أربعاء بلا أحمد
وحكاية أحمد المستيقظة بي على امتداد عمري
تلك الحكاية التي حولتني إلى امرأة مسنة تجوب طرقات المدينة

تجمع أطفال الحي حولها جيلاً بعد جيل
وتسرد عليهم حكاية الفارس الذي غادر منذ سنوات
ومازالت تنتظر طرقات يده على باب الدار
فتسرب الشيب إلى الدار والباب ومقعد الانتظار . . ولم يعد

فضاء

(بعض الكلمات كالطيور . . . تموت إن لم تحلق
في الفضاء بحرّية)

رحلت قبل أن أقف أمامك
وأقبّل جبينك
وأخبرك سراً . . .
إني تلك الصغيرة التي
كانت تكتب في دفترها
(بابا زايد . . أحبك وايد)
يعني أحبّك . . جداً . . .

في زمن كهذا الزمن
تحول إلى كتلة من (وطن)
وليغضب منك من يغضب
وليرحل عنك من يرحل
وليسقط منك من يسقط
فلا شيء يعادل . . الوطن

،

أقبلوا على الحياة وعيشوها
دون النظر في شهادات ميلادكم
فأنتم فقط من يحدد
متى تبدأ الحياة الحقيقية ومتى تنتهي
ولاعلاقة للسن بهذا

فعمرك الحقيقي هو إحساسك بالحياة
وليس ذلك الرقم المسجل في أوراقك الرسمية .

،

أين اختفى الأعداء والغرباء ؟
لماذا أصبحت كل سهام الغدر تأتينا من الأصدقاء والأقرباء
وكأنهم ماقاسمونا يوما
تلك المرحلة الخضراء من العمر . . والأحلام

،

لاتهدر صوتك
إن كنت تدرك أن أذن صاحبك
من طين . . وعجين

،

لا يؤلمنا موت الحب
مقدار مايؤلمنا موت (الاحترام)
فقائمة صداقاتنا بدأت تخلو
وبدأ الأصدقاء يتناقصون

،

من الأخلاق (النبيلة)
أن تحترم من يحترمك
ومن الأخلاق (الذليلة)
أن تحترم من (لايحترمك)

،

نحن لانتوقف لدى الكثير
لأننا وصلنا مرحلة من العمر والنضج
نستطيع أن نرى بها الوجوه الحقيقية بوضوح
مهما تعددت الأقنعة عليها

،

حتى حين تهدأ الأمور
وتعود المياه إلى مجاريها
لاتعود قناعاتنا ولا مشاعرنا
ولا ثقتنا كما كانت
فبعض المواقف يجب أن تزرع بنا غابات من الحذر
وبعض الأخطاء يجب أن لا تُكرر

،

بعد هذا العمر
ربما نحتاج الكثير من القوة كي نستوعب
أن درس (الجغرافيا) ذلك . . . كان خدعة
وأن درس التاريخ ذلك
كان بمثابة . . . مزحة

،

كل النساء على اختلاف ملامحهن وألوانهن
فائقات الجمال
إلا
الخائنات . . والمنافقات
والمتضخمات بالحقد !

،

لانميل إلى الحزن لكن
بعض المناسبات من الصعب أن تمر علينا
دون أن نتذكرهم . . ونحنّ إليهم

،

لاتتدخل في رزق أحد

فهذا لن يزيد رزقك . . ولن ينقص من رزقه

فالأرزاق ، مكتوبة

قبلك . . . وقبله

،

الكثير من أحلامنا كانت ستكون (ممكنة)

و(جائزة)

لكن توقيتها الخاطىء

أدخلها قائمة الممنوعات والمستحيلات

فبعض الأحلام تكون (جميلة) في زمن ما

و(مشوهة) في زمن آخر

فلكل زمان مستحيلاته و(مستحباته)

،

افرد أجنحة قلبك

إن كان المكان يخنقك

ولاتجعل تعلقهم بك

صخرة معيقة في طريقك إلى نفسك

فمع الوقت سيعتاد الجميع غيابك

حتى أولئك الذين أقسموا لك
إن حياتهم ستتعطل بفقدانك
وإن غيابك سينهيها

،

إيماننا بأن مساحات الآمان والقدرة والستر لاحدود لها في السماء يجعلنا نخفي الكثير من أسرارنا عن أهل الأرض بخجل
ونسربها إلى السماء بيقين

،

عش من (أجلك) أنت لبعض الوقت
واسرق لنفسك من الحياة بعض الأيام
ومن الأيام بعض الحياة
فسارق الأيام لاتُقطع يده

،

كي تمنح روحك الكثير من الهدوء
وتبتعد كثيراً عن ذلك الضجيج المقلق في داخلك
تخلص من خجلك ممن لايخجل منك
فلا تزرع الورد في كفوفه
بينما يغرس هو أشواكه في يديك

،

حين أمسح دموعك . . وأربت على أكتافك
وأنصت إليك باهتمام الصديق
أنا لا أحتاجك بشيء
أنا فقط أحاول أن أشرح لك
مدى حرصي على الإحتفاظ بك في عالمي

،

وطني خط أحمر
إن تجاوزته أضفتك إلى قائمة أعدائي بلا تردد
فاحترامي لك لا يعني
أن ترفع يدك تدعو على وطني بالشر
وأردد خلفك (آمين)

،

كي لاأصفك بالتفاهة
لاتكلمني بتذمر عن (ضعف) هواء تكييف غرفتك
وسواك يجمع رزقه المتواضع تحت أشعة الشمس
ولا تكلمني عن عجزك عن السفر بسبب المال
وسواك يعجز عن السفر لأن لا أوراق رسمية لديه
تنسبه إلى وطن ما على الأرض!

،

إننا نجمع أمانينا المستحيلة على الأرض
ونرسلها إلى السماء على هيئة (دعاء)
ففي السماء لاتبقى المستحيلات . . مستحيلات!

،

لو أنهم تركوا الأدب لأهل الأدب والفن لأهل الفن
والسياسة لأهل السياسة
والنقد لأهل النقد
لأختفى الكثير من الضجيج
ولأصبح هذا الكوكب
أجمل وأهدأ

،

حين يتأخر بنا العمر
نحن لا نَحِنُ إلى . . حبيب
نحن نَحِنُ إلى . . الحب فقط
فكلما كبرنا أصبحت حاجتنا للمشاعر
أكبر من حاجتنا . . للذكريات

،
لم تكن المرأة الأولى في حياته
ولا العلاقة الأولى
ولا الحب الأول
لكنها دون نساء عمره
بقيت محتفظة بقوّة ألوانها في ذاكرته
فهناك نساء لسبب أو لآخَر
لايسقطن من ذاكرة الرجال أبداً

،
(في مراهقتها كانت صديقتي تحب ابن جيرانها . . و تتمنى أن تتزوجه)
هكذا كنا نسرد الحكايات الخاصة بنا على المقرّبين
فحيائنا كان يخجلنا أن نبوح لهم
إنّ تلك (الصديقة) هي (نحن)
ففي زمننا الجميل كنا نغلف الحكايات
ونغطي أسرارنا . . ونستر تفاصيلنا بحرصٍ تام
ونسرد حكاياتنا باسم الأصدقاء
ونُسقط الكثير من حكاياتنا الخاصة عليهم

،

(لانرى . . لانسمع . . لانتكلم)
نحن في حاجة إلى أن نكون هذا الثلاثي أحياناً
وأن نتخفف من ثقتنا بالآخرين
فهذا زمن متقلباته كثيرة . . وماعدنا نعرف به العدو من الصديق
فكأنهم يتبادلون فيما بينهم الأدوار
وعند تبادل الأدوار
يتغيّر السيناريو والإحساس والموقف تماماً!

،

الحب الحقيقي هو أن
تدخل البيوت من أبوابها
وتسعى جاهداً للارتباط بالطرف الآخر
وان خذلك النصيب . . فذاك شيء آخر
لاعلاقة له بمصداقيّة مشاعرك
فالفراق لايلغي صدق الإحساس والنية

،

الذين يحبون من أجل المال
ويكرهون من أجل المال
ويصادقون من أجل المال
ويغدرون من أجل المال
ويقتربون من أجل المال
ويبتعدون من أجل المال
هم في الغالب يتحولون مع الوقت إلى كتلة حجر
يفقدون متعتهم بكل الأشياء.. حتى المال

،

في رأيي
الحكايات التي يموت أبطالها في الصفحة الأخيرة
هي حكايات فاشلة
فشل كُتّابها في الإمساك بطائر الفرح
واختاروا الموت كـ صفحة أخيرة
لحكاية تعلق القارىء بتفاصيلها
لتُسقطه سطورها الأخيرة في بئر من الأحزان

،

وأنت تُغادر الحكاية
احرص على ألاّ تكون ذلك المغفّل
الذي كان يؤدّي دوره في حكاية باردة
ويمنح دفئه ونوره بلا حدود
من أجل طرف كان يتسلّى بنيرانه
حين كان هو . . . يحترق

،

ربما لولا حرمة التماثيل
لحوّلنا أحبّتنا قبل فراق الموت إلى مجموعة من التماثيل
وأبقيانهم فى مُحيطنا . . قطع غالية بلا روح

أنصاف قلوبنا

(ها أنا ذا أتحولُ معكَ إلى طفلةٍ صغيرةٍ، فأحبُكَ بنقاءِ الطفلةِ، وأخطُّ لكَ رسائلي بعفويةِ الطفلةِ، بعيداً عن الشِعر والوزنِ والقافيةِ وقواعدِ اللغةِ العربية)

حين رأيتُكَ للمَرةِ الأولى
خُيِّلَ إليَّ أنَّ الأيامَ تعتذرُ لي وتُقَبلُ رأسي
وتُقدمُكَ إليّ كوردةٍ حمراء .

،

قبل أنْ ألتقيكَ
كان يُخيّل إليَّ أني أميرةٌ مُتوجةٌ على مدينةٍ عظيمةٍ مِنَ الأحلام
وجيشٍ مِنَ الفرسانِ والعُشاقِ والحكاياتِ
وبعد أنْ التقيتُكَ
اكتشفتُ أنَّ كُلَّ الأشياءِ قَبلكَ خَيالٌ
وكُلَّ الأشياءِ قبلكَ ورقٌ

،

أيها الرائعُ أدهشْتَني
جئتَني وأنتَ تحفَظُ كُلَّ تفاصيلِ قلبي
وكُلَّ تفاصيلِ ليلي
وكُلَّ تفاصيلِ أحلامي
وكأنكَ استذكرتَني قبل أنْ تُمتحنَ بي

،

أعلمُ أنَّ هناك أشياءَ كثيرةً حين تغيبُ عني
يغيبُ معها الوجودُ وتتوقفُ بعدَها الحياةُ
وأعلمُ جيداً أنكَ كُلُّ هذه الأشياء

،

بكيتُ بين يديكَ يوماً
حين تذكرتُ أنَّ الفشلَ دائماً مِسكُ الحكاياتِ الجميلةِ
وأننا يوماً سنرحلُ بعيداً ونفترقُ
كي نُثبتَ لهم أنَّ الحكايةَ كانتْ جميلةً

،

أعترفُ لكَ للمَرةِ الألف
بأنَّ كُلَّ الكتاباتِ قَبلكَ مبتورةٌ
وكُلَّ الحكاياتِ قبلكَ مبتورةٌ
وكُلَّ المشاعرِ قبلكَ مبتورةٌ
وكُلَّ الأحلامِ قبلكَ مبتورةٌ
ووحدَكَ الحقيقةُ الكاملةُ في داخلي

،

حين تفقّدْتُ حقيبتَكَ
وجدتُ فيها نِصفَ التُفاحةِ المسمومةِ
وفردةَ حِذاءِ سندريلا
وسيفَ سيّافِ شهريار
ومصباحَ علاءِ الدين
وسَرجَ حصانِ الشاطِرِ حسن
وبِساطَ سندباد السحري
وأيقنتُ أنكَ كُلُّ فُرسانِ الحكاياتِ
الذين كانتْ تزرعُهم جَدَّتي
في أحلامي منذ الصِغر

،

أنامُ على صوتِكَ وتستيقظُ على صوتي
وحين أغيبُ عنكَ تَتحولُ إلى طفلٍ مرعوبٍ
وحين تغيبُ عني أتحولُ إلى قطةٍ صغيرةٍ
أخافُ الأشياءَ
وأرفضُ الأشياءَ
وألتصقُ بالجدارِ قَدرَ استطاعتي
تُرى!؟
إذا كان الحُبُ بهذهِ القوةِ وبهذا الجُنونِ

فـمـا مقدارُ الألـمِ الذي ستُخَلّفه لـحظةُ الفراقِ؟
ولـمـاذا كُلّـمـا حَدثتُكَ عن الفراقِ
ارتعشَ صوتُكَ بـرُعبِ
وكـأن زلزالاً عظيـمـاً قد حَدثَ بداخِلِكِ؟

كيف سيتجرأُ الفراقُ علينا يوماً؟
وبـيـنـي وبـيـنكَ مدينةٌ مِنَ الوَردِ
وعـاطفةٌ بطَعمِ الشَهدِ وأمنيةٌ خضراءُ
وطِفلٌ صَغيرٌ نصفهُ أنا
ونصفهُ الآخَرُ أنتَ
ونصفُكَ الذي لا يـكتـملُ إلا بـي
ونصفـيَ الذي لا يـكتـملُ إلا بك

تحية طيبة

(تحيـة طيـبـة وبعـد . . أخط لك رسـالتي وأنا بكامل شـوقي إليك . . وأتمنى أن تصلك وأنت بأتم الصحة والعافية . . . . . المخلصة للأبد)

تحية طيبة . . وبعد

لاتقلق أنا لم أفقد عقلي ولا ذاكرتي في الزمن

فمازلت على إستيعاب أنني في عام ٢٠١٧

حيث لاتبدأ الرسائل بـ(تحية طيبة)

ولاتنتهي بـ(المخلصة للأبد)

فلا التحايا بقيت بينهم طيبة . .

ولا الإخلاص بقي بينهم للأبد

،

تحية طيبة . . وبعد

لاتقلق . . مازالت جدران ذاكرتي من حديد

أنا فقط أسترجع الزمن بصوت مرتفع . .

أسترجع رائحة الحبر والورق

أسترجع تنسيق الخط وانتقاء العبارات

أسترجع رش رذاذ العطر وطبع أحمر الشفاه

أسترجع الإهتمام بكتابة العنوان وطعم طوابع البريد

أسترجع مشوار البريد والصناديق الزرقاء

أسترجع أيام الترقب ولهفة تسلم الرسائل

وتكرار قراءتها مرات ومرات!

،

تحية طيبة وبعد

لا تقلق . . أنا لم أستيقظ بعد نوم طال سنوات

ولم يفزعني تبدل الوجوه وتغيير العملة

أنا فقط . . أحاول مغافلة الوقت والتسلل إلى ذلك الزمان . .

حين كانت الرسائل تصل و (جزء من النص مفقود)

وكنا نموت ونحيا حتى يكتمل النص . .

فالنصوص الآن كاملة . . لكن المفقودات كثيرة . . كثيرة ياسيدي

فالحب مفقود . . والدفء مفقود . . والصدق مفقود

والثقة مفقودة . . مفقودة جداً

،

تحية طيبة وبعد

لاتقلق . . فما زلتُ أعي اننا في عام ٢٠١٧

حيث انتهى عهد الرسائل الورقية

حيث أصبحت رسائل الورق تُعرض في المتاحف وأرفف التراث

حيث لاأحد يدخل المكتبة كي يقتني قلم الحبر الأزرق وورق الرسائل الملون

ويسهر الليل كي يتفنن بكتابة رسالة ورقية

،

تحية طيبة وبعد لاتقلق . . مازلت أحتفظ بقدرة تمييز الأوقات و
أحتفظ بعقلي حيث فقدت الكثير
فمفقوداتنا في هذا الزمن كثيرة . . . رغم وفرتها . .
والحياة متوافرة لكنها مفقودة
فالأحلام متوافرة لكنها مفقودة
والسعادة متوافرة لكنها مفقودة
والرفاهية متوافرة لكنها مفقودة
والرومانسية متوفرة لكنها مفقودة . . .
لهذا أصبحنا نعيش بين أكوام من أشياء موجودة حولنا
ومفقودة داخلنا!

،

تحية طيبة وبعد
لاتقلق . . . فكما أخبرتك مازلت أعي ماأكتب
لكني غادرت محطات انتظارك منذ زمن
واتخذت مقعدي في قطار ظننته آخر القطارات !
فالحياة لم تتوقف خلفك
وتجددت الوجوه حولي كثيرا . . .
وتجددت الحكايات وتجددت الأمنيات
فلم تعد أنت أمنيتي البيضاء . . . ولم أعد أنا المخلصة لك للأبد

ليلةُ ميلاد

(قلوبُنا بطيئةٌ كالسلاحفِ وسنواتُنا مُسرِعةٌ
كالأرانبِ لهذا تَكبرُ وجوهُنا قَبلَ قلوبِنا)

زوايـا الـمنزلِ اليومَ صامتـةٌ جـداً كـأنّها تَحنُّ إلـى نفَس ما
أو كـأنـهـا تلـتقطُ أنفاسَهـا لِتُودّعَ سَنةً كـانـتْ حزينةً جداً
أو ربـمـا هـي تُـقاسـمُني لهفةَ انـتظارِ مُنتصَفِ الليلِ
فعِندَ الساعـةِ الثانيةَ عَشرةَ مِن مُنتصَفِ الليلِ سيَـتغيَّرُ بـي
شيءٌ.

حتـمـاً لن يُـبطِلَ فـي مُنتصفِ الليلِ سِـحرُ الساحرةِ الطيبـةِ
التي حَوّلَـتني إلـى أميرةٍ كـي أحضرَ حفلـةَ الأمير
ولن تَـتحوَّلَ عَربَـتي الفخمةُ إلـى ثَمرةِ بَطيخٍ كـبيرةٍ ولا خيولُ
عربتي ستَـتحوَّلُ إلـى فئرانٍ صغيرة
ولا فستانـي الـمُطرز بألـمـاسٍ سيَـتحوَّلُ إلى قطعةٍ بـاليَـةٍ مِنَ
القـمـاشِ أجـبـرَتني عـلـى ارتدائِـهـا زَوجةُ أبٍ قاسية
ولن أسيرَ فـي الطريقِ الـموحشِ مِنَ الغابةِ فيَقطَعُ ذِئبُ الغابةِ
طَريـقـي إلـى مَـنـزلِ جَدّتـي
ولن يَـرقُصَ الأقزامُ السَبعةُ أمامـي ليُدخِلوا الفرحَ إلـى قلبي

،

لن يَـحدُثَ أيُّ شيءٍ مِنْ هذا
فلَن يُغادرَ أبطالُ الأساطيرِ حِكـايَاتِهم ليَطرقوا فـي اليومِ الأخيرِ
مِن السَنةِ أبوابـي.
ولن تَـحدُثَ مُعجزةٌ تُـغيّرُ مَجرى الـحُزنِ عني أو تدفعَ رياحَ
الفرحِ لـتَـمرَّ مدائِـني لو سُوَيعاتٍ مِنَ اللـيلِ

لكن ستُضافُ إلى هذا العُمرِ المُرهَقِ المُنهَك
بالانتكاساتِ والهزائمِ سَنَةٌ جديدةٌ

،

فالأولُ مِن يناير يَومُ ميلادي الذي أمسى يَمُرُّ غريباً ويُغادرُ
غريباً كغُربةِ أرواح قديمةٍ في زمنٍ جديدٍ لا يُشبهُها
وكعادتي السنويةِ في مثلِ هذا الوقتِ مِن كُلّ عامٍ سأنامُ
باكراً على غيرِ عادتي اليومية
وأستيقظُ في آخرِ ساعاتِ الليلِ لأجدَ مجموعةً مِنَ الهدايا
الرائعةِ قد وُضِعَتْ لي أمامَ بابِ غُرفتي
لِتهمسَ لي شِفاهُ الليلِ أنَّ هناك أرواحاً مازالتْ تحتفظُ
بتواريخِ مناسباتي الخاصةِ في أجندةِ ذاكرَتِها
فيُداخِلُني مِنَ الفرحِ الكثيرِ أنَّ هناك مَنْ تَذكَّرَ التاريخَ
الأهمَّ في عُمري
لأننا مهما كَبرنا ومهما نَضَجنا سنبقى كالأطفال
نَفرحُ للهدايا ولِلمواقفِ البيضاءِ ولاهتمامٍ يُخبرُنا أننا ما
زلنا نَعني للمحيطينِ بنا الكَثير

،

فالسنواتُ تتركُ تجاعيدَها على الوجوهِ وليسَ على القلوب
لهذا تبقى قلوبُنا خضراءَ مهما كَبرنا ومهما انحَنَينا

ومهما ارتعشَتْ مِنَ الكِبَرِ أطرافُنا
فماذا سأجدُ هذا المساءَ خَلفَ بابي؟
ما الذي سَيَتغيَّرُ في مُنتصفِ هذا الليلِ في عالمي؟
هل ستكونُ الدهشةُ بانتظاري كعادَتِها عند نهايةِ كُل سَنَة؟
أمْ أني سأجدُ الفراغَ المُرعِبَ الذي سيُخبرُني أنَّ جميعَهُم
قد أسقطوني هذا العامَ مِن ذاكرتِهم
هل سأجدُ هُدهدَ سُليمانَ قد جاءَني بالنبأ العظيم؟
أمْ سأجدُ جِنَّ سُليمانَ قدْ جاؤوا ليُحَققوا لي مجموعةً مِنَ
الأحلامِ المستحيلةِ التي لا تتحققُ إلا بسِحرِ ساحِرٍ
أمْ سأجدُ البَشيرَ وقميصَ أحمدَ وصَكٌّ براءةِ الذئبِ مِنْ
مَكيدةِ كادَتها أحقادُهم ذات عام؟
أمْ سأجِدُ عَمي الطيبَ (سالِم) مُبتسماً كعادَتِه لِيُطمئِنَني
أنَّ عددَ مَحارمي لَم يَقلَّ بموتِهِ
وأنَّ فُرصةَ زيارتي لبيتِ اللهِ الحَرامِ لَمْ تَقِلّ
أمْ سأجدُ خالتي فاطمة مُستبشرةً وهي تَحمَدُ الله وتشكرُهُ
كعادَتِها دائماً
فبرغمِ هُمومِها كانَتْ عِباراتُ الحَمدِ والشُكرِ لا تَسقطُ مِنْ
لسانِها أبداً
أمْ سأجِدُ خالي صاحِبَ القلبِ الحنونِ يقفُ واضعاً يَدَهُ
في جيبِهِ لِيُخرِجَ لي وَرقةً نَقديةً كبيرةً كما كان يفعلُ
حين يراني في طريقهِ وأنا طفلة

'

أو سأجدُ أطفالَ دفاتري جاؤوا مُبَشرينَ أنهم قد غَفروا لي
حَبسَهُم في سُجونِ حِكاية فاشلة سنوات طويلةً
أمْ سأجدُ أصدقاءَ طفولتي ماجِدُ وكسلان جداً وشمسةُ ودانةُ
والسلحفاةُ سلمى يُقدمون لي دعوةَ العودَةِ معهُم إلى الثمانينات
حيث كانَتْ الأحلامُ خضراءُ والقلوبُ بيضاء
فيُعيدونني إلى فَجرِ الأربعاءِ الذي كُنا ننتظرُ شروقَ
شَمسه لنَجريَ ونشتريَ ماجد
فأخبرُهُم أني كبرتُ أكثرَ مِنهُم وفَقدتُ فرحةَ الأربعاءِ مُنذ
سنوات طويلة
وأنَ أطفالَ هذا الزمنِ فقدوا لهفةَ انتظارِ مجلةٍ أسبوعيةٍ
ليتَتَبَّعوا فيها أحداثَ حِكايةٍ أسبوعيّة
وأصبحَتْ عُقولُهم أكبرَ مِنْ مُربعٍ الكلماتِ المتقاطعةِ
وأنَّ وقتَهم لمْ يَعُدْ يَتسعُ للبَحثِ عَن فضولي
ولا وقتَ لديهِم لمَعرفةِ الطريقِ الصحيحِ في المتاهةِ

'

أمْ سأجدُ نُعمانَ وملسونَ وفاطمةَ وأنيسَ وبَدرَ وكعكي جاؤوا
ليُغَنوا لي :افتحْ يا سمسم أبوابَك نحن الأطفال رغم أننا لم نَعُدْ
أطفالاً ولاعادَتْ أحلامُنا تتحققُ بكلمةِ السِر (افتح ياسمسم)
فيا تُرى مَن سيكونُ خَلفَ بابي هذا العام؟ مَن سيمنحُني
الذكرى؟ ومَنْ سيمنحني الفرح؟

شكرا

(بعض الشُّكر يَنْبُت بعد رحيلهم.. فيأتي متأخّراً)

شُكرا ..

للذين أحبّونا بصدق .. ولم يطلبوا منّا المقابل يوماً

الذين علّمونا الوفاء بأنواعه .. فتَرَفَّعنا عن الخيانة بكل أنواعها

الذين حلموا معنا بصدق .وقاسمونا أمنيات العمر الكبرى وزرعوا دفاترنا بالتفاصيل الدافئة .. وبالأطفال

الذين رسموا معنا القلوب وأسهم الحب في الأوراق وفوق الرمال ..

الذين ألصقوا لنا أوراق القصائد في رسائلنا .. وألصَقْنا قصاصات الصحف من أجلهم في الرسائل ..

الذين عَلّقنا حروفهم الأولى في سلاسل أعناقنا . .ووضعوا أحرفنا الأولى في سلاسل مفاتيحهم ..

الذين كانوا يسهرون الليل لأهدائنا الأغاني الحزينة في ليالي الفراق .. وتأخذنا الأغنيات الحزينة عند الفراق لهم ..

الذين كان يَعنيهم أمرنا جداً . . وكانوا يهتمون بأبسط تفاصيلنا . . لبسنا ومأكلنا وهواياتنا وذهابنا وعودتنا . .

الذين كنا نتفنن في إختلاق الحكايات كي نثير غيرتهم ونفرح كثيراً . . كالأطفال .حين يغارون

الذين وعدونا (لحظة الفراق) بالعودة كذباً حتى يُخففّوا عنا ألم الرحيل . .

الذين تركوا لنا هداياهم في الزوايا حتى نتعلّم عند رؤيتها إلاّ شيء يدوم . . مهما اشتدّ الصدق والحب . .

الذين اعتذروا لنا عند مفترق الطُّرق برُقيّ . . ثم تركوا (مُجْبَرِين) للّرياح أيادينا . .

الذين غابوا بشكل دائم ولم يؤلموا قلوبنا بعودة متقطعة وغياب متقطع . . كي يتركوا لنا مساحة للنسيان ولحياة أفضل . .

الذين حين جاء الفراق حملونا في سفن أعماقهم ورحلوا بلا ثرثرة أو بعثرة لتفاصيل خاصة . .

الذين لايزالون يدركون داخلياً . وعلى الرغم من الفراق . . أننا كنا النصف الأجمل منهم . . ومن أعمارهم . .

الذين منحونا الأمان ذات حكاية . . ولم يتحولوا إلى ذئاب . . ولم يُحوّلوا الحكاية الجميلة . . إلى غابة مُوْحِشة . .

الذين لم يُدنسوا صحائفنا بذنوب ثقيلة . . وخافوا الله فينا قبل الفراق وبعد الفراق . .

الذين لو عاد الزمان بهم . . سيعودون إلينا بالحب ذاته . . والحلم ذاته . . وسيكررون بلا ندم كل التفاصيل الجميلة معنا . .

الذين قَبلوا رؤوس قلوبنا حين جاءت الظروف بالفراق احتراماً . . ورحلوا بهدوء . . . وتألّموا كما تألّمنا . .

الذين لم يُروعوا بعد انتهاء الحكايات أمْنَنا .ولم يُهدّدوا برسائل وصور وتفاصيل خاصة .وبقيت حكاياتنا السرّية معهم بعد الفراق سرّية

الذين لم يطرقوا أبوابنا لإعادة الصور و الرسائل . . وحرصوا على الاحتفاظ ببقايانا معهم . .

الذين مازالت قلوبهم تتذكر تواريخنا ومناسباتنا الخاصة . . ويحتفلون بنا بينهم وبين أنفسهم . .

الذين كلّما التقوا بقلوب سوداء . . تَذكّروا بَيَاض قلوبنا . . وكلما قَسَت الحياة عليهم .تَذكروا رَغَد الحياة معنا .

الذين وصفوا إحساسهم تجاهنا بـ(الحبّ الحقيقي) وصنّفوا سنواتنا معهم . . بأنها أجمل سنوات أعمارهم . .

الذين كانوا لنا ذات حكاية أهم شيء . . . وكنا لهم . . أغلى شيء .

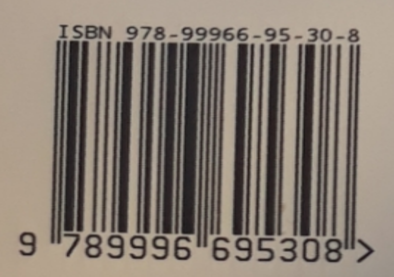
البعض يظهر في حياتنا على هيئة بشارة بيضاء
وهكذا ظهرت على ذلك الطريق . . يَمَام

شهرزاد





البعض يظهر في حياتنا
على هيئة بشارة بيضاء
وهكذا ظهرت أمامها على ذلك الطريق
تلك الطفلة.. يَمَامُ!



ISBN 978-99966-95-30-8

تصميم: 6Y4
رسم الغلاف: جمانة الرجال



